«٣» كتاب الجيب الإسلامي

كتاب ابن لقمان



مخاصمة الرسول ﷺ لزوجاته

عبد العزيز الشناوي

سلسلة كتاب الحبيب الإسلامى

(٣)

مخاصمة النبى ﷺ لزوجاته

عبد العزيز الشناوى

كتاب ابن لقمان

كتاب الجيب الإسلامى (٣)

●● (مخاصمة النبى ﷺ لزوجاته)

●● بقلم: عبد العزيز الشناوى

●● تليفون: ٠١٢/٣٧٤٠٥٦٧

●● رقم الإيداع: ١٥٧٤٨/ ٢٠٠٠

●●●●●●●

●● تصميم الغلاف: م/ علاء فتحى عجوة

مكتب يارا للإعلام العربى - المنصورة

٣٢ ش الشهيد المعتز بالله أمام كلية الآداب ☎: ٠٥٠/٣٦٩٥٨٨

●البيت النبوى الشريف●

إن المبعوث للناس كافة ﷺ هو الأب الأعظم للمؤمنين، فهو الذى أحيا مواتهم، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، فكان له ﷺ سلطان مطلق على وجودهم الروحى، الذى لا وجود لهم إلا به.

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين

وقال نور الظلمة ﷺ:

ـ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلى أحب إليه من أهله، وعترتى أحب إليه من عترته، وذريتى أحب إليه من ذريته (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير، والبيهقى فى شعب الإيمان عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن أبيه)

وصاحب الخلق العظيم ﷺ لا يبغى بهذا الحب الذى يؤثره به المؤمنين سلطانا على النفوس، ولا تسلطا على الناس، وإنما يبغى به ﷺ توثيق إيمان المؤمنين بالله عز وجل، وإخلاص ولائهم وحبهم لله تبارك وتعالى؛ لأن من أحب الله أحب رسوله ﷺ

وأزواج النبى ﷺ أمهات المؤمنين، ولقد شرف الله عز وجل أزواج النبى ﷺ الطاهرات العفيفات بأن جعلهن أمهات للمؤمنين، أى فى وجوب التعظيم والمبرة والإجلال، ووجوب احترامهن، وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن رضى الله عنهن بخلاف الأمهات، وهذا تعظيم لنساء النبى ﷺ لحقهن على الرجال والنساء ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٦]

فأمهات المؤمنين نساء وبشر ﴿يا نساء النبى لستن كأحد من النساء﴾ [سورة الأحزاب اللآية: ٣٢] يعنى فى الفضل والشرف

- **أهل البيت**

قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٣٣]

إن هذا الذى يدعى إليه نساء النبى ﷺ، هو لما يريد الله سبحانه وتعالى لهن من طهر يتناسب مع مقامهن، ويتلاقى مع انتسابهن إلى إمام الخير ﷺ

وخص العليم الخبير أهل البيت بالطهارة والعفة وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة واصطفاهم على العالمين، وأفاض عليهم من مخزون سرائره وتولاهم بفضله، فهم قدوة أهل الصدق والإخلاص، ولأهل البيت فضل كبير.

- **من هم أهل البيت؟**

الآية تعطى أن أهل البيت نساء النبى عليه الصلاة والسلام

وقد اختلف أهل العلم فى أهل البيت من هم؟

قال عطاء وعكرمة وابن عباس:

ـ هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن

وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبى ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٣٤]

وقالت فرقة منهم الكلبى:

ـ هم على وفاطمة والحسن والحسين خاصة

وقيل:

لما نزل قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ سورة الأحزاب الآية: ٣٤]

آيات الله: القرآن الكريم

الحكمة: السنة المطهرة

والمراد بذكر آيات الله والحكمة هو تذكرها والعمل بها، ففى ذكر آيات الله وسنة السراج المنير ﷺ تذكير بما فيهما

من أحكام وآداب، وفى هذا التذكير حث على العمل وتحر لما يرضى الله ورسوله من قول أو فعل

دعا صاحب الخلق العظيم ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين وعمد إلى كساء فلفها عليهم ثم ألوى بيده إلى السماء فقال:

ـ اللهم هؤلاء أهل بيتى، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

تقول أم المؤمنين أم سلمة:

نزلت هذه الآية فى بيتى فدعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساء خيبرى وقال:

ـ هؤلاء أهل بيتى وقرأ الآية

وقال عليه الصلاة والسلام:

ـ اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

فقالت أم سلمة:

ـ وأنا معهم يا رسول الله؟

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ أنت على مكانك وأنت على خير (أخرجه الترمذى)

وقيل:

إن أم سلمة أدخلت رأسها فى الكساء وقالت:

ـ أنا منهم يا رسول **الله**؟

قال نبى الرحمة ﷺ:

ـ **نعم** (رواه القشيرى)

والذى يظهر من الآية أنها عامة فى جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم

وإنما قال: ﴿**ويطهركم**﴾ لأن رسول الله ﷺ **وعليا وحسنا وحسينا كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فاقتضت الآية الزوجات من أهل البيت لأن الآية**

فيهن والمخاطبة لهن

وقال الثعلبي:

ـ هم بنو هاشم

فهذا يدل على أن أهل البيت يراد به بيت النسب، فيكون العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ وأعمامه وبنو أعمامه منهم.

●●●●●

• زوجات الرسول ﷺ •

هؤلاء السيدات اللواتى عشن فى بيت النبوة، أمهات المؤمنين الكريمات اللواتى أظللهن هذا البيت وكان لكل منهن أثرها فى حياة خاتم النبيين ﷺ ومكانة فى تاريخه العظيم وسيرته الخالدة، نساء النبى ﷺ ينزعن جميعاً إلى حواء، **وقد جئن إلى بيت تلاقت فيه البشرية بالنبوة واتصلت الأرض بالسماء، وتزوجن من بشر يتلقى الوحى من أعلى، ويبلغ رسالة الله عز وجل.**

•الزوج.. النبى ﷺ:

الحديث عن زوجات النبى ﷺ لا بد أن يسبقه حديث عن الزوج وبيته الذى أظلهن، ولا أعنى بالبيت بنيانه **وموضعه ولكن أعنى الحياة المشتركة فيه، والواقع أنه لم يكن بيتاً واحداً بل بيتين:**

أولهما: فى مكة حيث عاش إمام الخير ﷺ مع زوجه **الأولى خديجة بنت خويلد وحدها** وحيث أنجب وواجه التحول الأعظم فى حياته وفى حياة العرب والإنسانية جميعا

البيت الثانى: **حجراته فى المدينة حيث عاشت أمهات المؤمنين جميعاً ـ ماعدا خديجة ـ**

والفصل بين شخصية الرسول ﷺ زوجاً ورجلاً، وشخصيته ﷺ نبياً رسولا جد عسير، وليس الأمر كذلك فى حياة نبى آخر من حمله الرسالات رغم كونهم جميعاً آدميين . .

وقد قرر الإسلام بشرية الرسل عليهم السلام

وأبو القاسم ﷺ كان أحرص الناس على تذكير أمته بأنه بشر، عبدالله ورسوله

وقد أكد ذلك القرآن العظيم: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ

إِلاَّ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء الآية: ٩٣]

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[سورة الكهف الآية: ١١٠]

والرسالة لم تنزع من قلب أبى القاسم ﷺ عواطف البشر ولا جردته من بشريته فهو يعانى مثل الذى يعانيه بنو آدم من حب وكره ورغبة وزهد وخوف وأمل وحنين واشتياق ويجرى عليه ما جرى علي سائر البشر من تعب ويتم وثكل ومرض وموت ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٤٤

ولو شاء الله عصم نبيه الخاتم ﷺ من كل هذا ولأعفاه مما ذاق من حر الثكل فى بيته، وفداحة المصاب فى خديجة، ومحنة الإفك فى عائشة، ولجعل حياته نصرا متصلا لا يعرف هزيمة ـ يوم أحد ـ وأراحه من اضطهاد أعدائه وكيد

المنافقين من أتباعه، ولكن سبقت كلمة الله لرسله﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٨٧]

وإنه لغاية التكريم للبشرية أن ينتمى إليها النبى الرسول ﷺ، ومن قبل كرمها العليم الخبير فأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام أبى البشر.

وإمام الخير ﷺ لم يكن مع ذلك كأحد من البشر فقد اصطفاه الحكيم العليم من بين المخلوقين جميعاً خاتما للنبيين وبعثه فى الناس بشيراً ونذيراً. . إنه بشر رسول ﷺ

وكانت حياته ﷺ الزوجية تخضع أحيانا لتوجيه سماوى صريح فيتلقى من حين إلى آخر أوامر من ربه فى أخص الشئون الزوجية

فمحنة الإفك مثلاً لم يحسمها **إلا نزول الوحى** من فوق

سبع سموات ببراءة عائشة مما افتراه عليها الذين أرجفوا بالسوء ورموها بالفاحشة.

وزواجه من زينب بنت جحش ما كان ليتم لولا أن نزل به **عتاب صريح من العلى الحكيم** الذى كره للنبى الأمى العربى القرشى الهاشى ﷺ أن يخفى فى نفسه ما الله مبديه، وأن يخشى الناس والله أحق أن يخشاه

وطلاق الرسول ﷺ لأم المؤمنين حفصة بنت عمر خيف من وطأته على أبيها الفاروق، فنزل جبريل عليه السلام على النبى ﷺ **بأمر الله أن يراجع حفصة** رحمة بعمر بن الخطاب

وكان صاحب الخلق العظيم ﷺ حلو المعاشرة لزوجاته، كثير المسامرة لهن، متحملاً لأخلاقهن وخاصة غيرتهن وكان سيد الأولين والآخرين ﷺ يقول:

ـ **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى** (رواه ابن

ماجه عن عبدالله بن عباس)

تقول أم المؤمنين عائشة:

- كان رسول الله ﷺ يلاعبنا ونلاعبه فإذا سمع بلالا يؤذن الصلاة تركنا وكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه.

●●●●●

• أمهات المؤمنين رضى الله عنهن •

• خديجة بنت خويلد •

تزوجت خديجة عتيق بن عائذ سيد بنى مخزوم فولدت له جارية ـ هند ـ فكانت تدعى بأم هند، ثم خلف عليها هند بن النباش بن زرارة فولدت له هالة وهند ـ رجلان ـ

وكانت تسمى الطاهرة.

وكانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم.

وكانت قريش قوما تجاراً، فلما بلغ خديجة عن محمد ابن عبدالله ـ ﷺ ـ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، فقبل ابن عبدالله ـ ﷺ ـ منها، وخرج فى

مالها ذلك ومعه غلامها ميسرة، حتى قدما الشام

وباع محمد ـ ﷺ ـ سلعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ونسى ميسرة أن يحدث الطاهرة عن الربح الوفير الذي حققه محمد ـ ﷺ ـ فى رحلته إلى الشام وأخذ يروى لها ما رآه من عجائب أثناء الرحلة فقال:

نزلنا فى ظل الشجرة قريباً من صومعة الراهب نسطوراً فاطلع إلى وقال لى:

ـ من هذا الرجل التى نزل تحت هذه الشجرة؟

فقلت له:

ـ هذا رجل من قريش من أهل الحرم

فقال الراهب نسطورا:

ـ ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ـ ما نزل تحت هذه الشجرة هذه الساعة إلا نبى ـ

وبينما نحن فى الطريق إذا كانت الهاجرة واشتد الحر رأيت ملكين يظلان محمداً - ﷺ - من الشمس وهو يسير على بعيره.

وظلت سيدة نساء قريش شاردة تفكر فى قول ميسرة، وتذكرت الطاهرة الشريفة اللبيبة يوم احتفل نساء قريش مع أهل مكة فى عيد لهن فى رجب.. كن لا يتركن شيئاً من إكبار ذلك العيد إلا أتينه، فبينما هن عاكفات عند وثن مثل لهن فى هيئة رجل حتى صار منهن قريباً ثم نادى بأعلى صوته:

- يا نساء تماء إنه سيكون فى بلدكم نبى يقال له: أحمد يُبعث برسالة الله، فأيما امرأة استطاعت أن تكون له زوجا فلتفعل

وعادت خديجة تربط بين حديث غلامها ميسرة وذلك الحدث..

ورغبت الطاهرة فى الزواج من محمد بن عبدالله - ﷺ - مما شاهده غلامها ميسرة من علامات النبوة وصدقه وأمانته وحسن خلقه و. . و. .

وبعثت إلى صديقتها نفيسة بنت منية فأرسلتها دسيساً - خفية - إلى محمد بن عبدالله - عليه الصلاة والسلام - بعد أن رجع من رحلة الشام بشهرين فقالت نفيسة:

- يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ هلا إلى تسكن إلى زوج تحنو عليك وتؤنسك وتزيل وحشتك؟ فيم عزوفك عن الدنيا؟

قال محمد - ﷺ -:

- ما بيدى ما أتزوج به

قالت نفيسة بنت منية:

- فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب؟

فتساءل محمد بن عبدالله ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

ـ فمن هى؟

قالت نفيسة بنت منية:

ـ خديجة

فعاد محمد ـ ﷺ ـ يتساءل:

ـ وكيف لى بذلك؟

فقالت نفيسة بنت منية وهى تدق صدرها بكفها:

ـ على

قال محمد ـ ﷺ ـ

ـ فأنا أفعل

فانطلقت نفيسة بنت منية إلى سيدة نساء قريش وأخبرتها بما دار بينها وبين محمد بن عبدالله ـ ﷺ ـ فقالت الطاهرة:

- فليأت الغداة الساعة كذا وكذا

وتزوج محمد بن عبدالله - ﷺ - خديجة وكان عمره خمس وعشرين سنة، وكانت خديجة فى الأربعين من عمرها، فكانت أول امرأة تزوجها محمد - ﷺ -

وذكرت الطاهرة لابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد وكان **نصرانيا قد قرأ كتب أهل الكتاب**، وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها من قول الراهب نسطوراً وما كان يرى منه إذا كان الملكان يظلانه وقت القيلولة.

فقال ورقة بن نوفل:

- لئن كان حقا يا خديجة إن محمداً لنبى هذه الأمة

وولدت خديجة بنت خويلد: القاسم وكان يكنى به، وأكبر بناته رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة

ولما قارب محمد - ﷺ - **الأربعين حبب إليه الخلاء** فكان يأخذ الطعام والماء ويذهب إلى غار حراء فى شهر

رمضان يطعم من جاءه من المساكين ويقضى وقته فى العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون وأصبح محمد بن عبدالله - ﷺ - لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح

ونزل جبريل على محمد ﷺ بالوحى وقال له:

- إقرأ

فقال محمد ﷺ:

- ما أقرأ؟

فضمه الملك حتى ظن محمد ﷺ أنه الموت فقال:

- اقرأ

فقال محمد ﷺ:

- ماذا أقرأ؟

فضمه الملك حتى ظن محمد ﷺ أنه الموت ثم أرسله وقال:

ـ اقرأ.

فقال أبو القاسم ﷺ :

ـ ماذا أقرأ؟

قال الملك : ﴿اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ (٣) الَّذي عَلَّمَ بالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق الآية : ١ـ٥]

قال خاتم النبيين ﷺ:

فقرأتها، ثم انتهى وانصرف عنى، وهببت من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتابا

وأقبل المبعوث للناس كافة ﷺ من غار حراء حائراً وحدث خديجة بالذى سمع وبالذى رأى

فقالت المرأة الحكيمة العاقلة فى فرح:

ـ يا أبا القاسم أبشر فو الذى نفس خديجة بيده لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة

فنزلت كلماتها برداً وسلاماً على قلب رسول الله ﷺ فقال:

ـ يا خديجة والله ما أبغضت بعض هذه الأصنام شيئاً ولا الكهان وإنى أخشى أن يكون كاهناً

فقالت الطاهرة فى حزم:

ـ كلا يا يا ابن العم لا تقل ذلك فإن الله لا يفعل ذلك بك أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى ـ تكرم ـ الضيف وتعين على نوائب ـ جمع نائبة وهى المصيبة ـ الدهر وإن خلقك لكريم

وانطلقت سيدة نساء قريش ورسول الله ﷺ إلى ورقة ابن نوفل فسأله:

ـ يا محمد كيف يأتيك الذي يأتيك؟

قال أبو القاسم ﷺ:

ـ يأتينى من السماء جناحاه لؤلؤ وباطن قدميه أخضر

ثم أردف السراج المنير ﷺ:

ـ إذا خلوت وحدى سمعت نداءً خلفى: يا محمد فأنطلق هارباً فى الأرض

فقال ورقة بن نوفل:

ـ لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول لك ثم إئتنى فأخبرنى

وعاد نور الظلمة ﷺ إلى ورقة بن نوفل فأخبره

فقال ورقة بن نوفل:

ـ والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة وقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أدركت ذلك اليوم ـ لو امتدت بى الحياة إلى ذلك اليوم ـ لأنصرن الله نصرا يعلمه فتساءل النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ:

ـ أو مخرجي هم ـ هل سيخرجه كفار مكة فيهاجر منها ـ؟

فأدنى ورقة بن نوفل رأس رسول الله ﷺ منه وقبل يافوخه ـ وسط رأسه ـ ثم انصرف إمام الخير ﷺ

وكانت خديجة بنت خويلد نعم الزوج صدقت زوجها حين كذبه الناس وأنفقت مالها فى سبيل الله فكانت وزير صدق لأبى القاسم ﷺ

وأتى جبريل عليه السلام ذات يوم فقال:

ـ يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه أدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب ـ من أنابيب من جوهر ـ لا صخب ولا نصب(رواه البخارى عن أبى هريرة)

فلما جاءت **أول النساء إسلاماً** قال لها الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ إن الله يقرأ على خديجة السلام

فقالت الطاهرة:

ـ إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته

وتوفيت سيدة نساء قريش بعد أن مضى من النبوة سبع سنين.

وقيل:

بعد أن مضى من النبوة عشر، وكان لها حين توفيت خمس وستون سنة، ودفنت بالحجون

فحزن عليها المبعوث رحمة للعالمين ﷺ حزنا شديداً وسمى العام الذى توفيت فيه هى وعمه أبو طالب عام الحزن.

● فى بيت الزوجية مع الضرائر:

يرى الغرب أن الإسلام هو الخطر القادم بعد الشيوعية، لذلك فالغرب يسعى جاهداً إلى تجريد الإسلام من عناصر

قوته تمهيدا لمحاربته بضراوة، ويقوم الآن المستشرقون واخوان القردة والخنازير من اليهود برصد سلبيات الإسلام من وجهة نظرهم بغرض تشويه صورة الدين الحنيف.

وقد قال المستشرقون فى تعدد الزوجات ما قالوا، ولم يروا فى هذا الجمع بين عدد من النساء، لزوج واحد سوى مظاهر مادية مسرفة، وإنه لضلال أملاه التعصب الأحمق والهوى المضل، وانحرف عن المنهج العلمى الذى يأبى أن نقيس مسألة تعدد الزوجات بمقاييس عصرية مستحدثة أضرت بالمرأة والأسرة والمجتمع من حيث يظن بها أنها مصلحة منصفة.

وهذا الغرب لايجرؤ اليوم على أن يدعى أن نظام الزوجة الواحدة يتبع فى دقة وينفذ نصاً روحياً، ومع هذا يأتى بعض أبنائه فينكرون فى جرأة تعدد الزوجات فى بيئة قد **كان التعدد هو نظامها السائد التى لانعرف سواه إلا فى حالات قليلة ولدواع خاصة، ولم يكن هذا النظام اختيارياً، وإنما قضت به طبيعة الزمان والمكان، وفى مجتمع البنون فيه**

زينة الحياة، وفخر المرأة الإنجاب، وفخر الولد وعزة النفر.

وربما بدا لنا اليوم أن ذاك التعدد كان مظهراً من مظاهر استعباد المرأة العربية ورقها المزعوم، وأنه قصد إلى إرضاء الرجال، ولكنه فى الحق كثيراً ما ألقى على الرجل عبئاً ثقيلاً مرهقاً، وأنقذ المرأة العربية من نظام أبشع من التعدد، وهو هذا الرق العصرى الذى يعترف لزوجة واحدة بشرعية الزواج ويدع لغيرها - ممن يعاشرهن الزوج فى الحرام - الضياع والهوان والعار ويرهق الإنسانية بمورد لا ينقطع من أولاد السفاع، الحرام، المنبوذين اللقطاء

والإسلام قيد التعدد شرعاً بأربع، ففارق الصحابة من زدن على أربع من نسائهم، ولهن أن يتزوجن من بعدهم. وأكرم الكريم المنان أمهات المؤمنين فأحلهن للنبى ﷺ **﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾** [سورة الأحزاب الآية: ٥١]

وأمر الله تبارك وتعالى الرجال بالعدل بين أزواجهم، فيما هو من المعروف والمستطاع، مع تقدير الشرع لعجز الفطرة البشرية عن العدل المطلق ولو حرصنا.

وكان إمام الخير ﷺ أحرص الناس على العدل بين نسائه قدوة للمسلمين ومعلما وإماماً، إلا فيما لم يكن تملكه بشريته من المساواة بينهن فى العاطفة والقلب، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

ـ اللهم هذا قسمى فيما أملك، فلا تلمنى فيما لا أملك.

وفى تعدد الزوجات جانب دقيق هو أن الرجال ليسوا سواء، فقد تؤثر زوجة ـ راضية ـ أن يكون لها حظ النصف من حياة رجل على أن يكون لها غيره كاملا.

● **هل كانت نساء النبى ﷺ سعيدات بحياة الضرائر؟**

لم تكن نساء صاحب الخلق العظيم ﷺ سعيدات بحياة الضرائر، ولا يقتضى الأمر أن تستريح إحداهن إلى هذه المشاركة فى الزوج، ولكن النبى الخاتم ﷺ كان من ذلك

النمط الفريد بين الرجال الذى تؤثر الزوجة أن يكون لها حظ ومكان فى بيته على أن تكون لها مع غيره مملكة مستقلة تنفرد بها دون مشاركة، فها هى سودة بنت زمعة لما اختلفت مع عائشة بنت أبى بكر، وبدا لأبى القاسم ﷺ أن يطلق سودة بنت زمعة وبعث إليها بطلاقها فجلست على طريقه وقالت متوسلة:

ـ أنشدك بالذى أنزل عليك كتابة لم طلقتنى الموجدة؟

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ لا

قالت سودة بنت زمعة:

ـ فأنشدك الله لما راجعتنى، فلا حاجة لى فى الرجال، ولكن أحب أن أبعث فى نسائك

لقد كانت مؤمنة إيماناً صادقاً أن أمهات المؤمنين يبعثن يوم القيامة ويدخلن الجنة مع النبى ﷺ.

وأمر الله تبارك وتعالى الرجال بالعدل بين أزواجهم، فيما هو من المعروف والمستطاع، مع تقدير الشرع لعجز الفطرة البشرية عن العدل المطلق ولو حرصنا.

وكان إمام الخير ﷺ أحرص الناس على العدل بين نسائه قدوة للمسلمين ومعلما وإماماً، إلا فيما لم يكن تملكه بشريته من المساواة بينهن فى العاطفة والقلب، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

ـ اللهم هذا قسمى فيما أملك، فلا تلمنى فيما لا أملك.

وفى تعدد الزوجات جانب دقيق هو أن الرجال ليسوا سواء، فقد تؤثر زوجة ـ راضية ـ أن يكون لها حظ النصف من حياة رجل على أن يكون لها غيره كاملا.

• هل كانت نساء النبى ﷺ سعيدات بحياة الضرائر؟

لم تكن نساء صاحب الخلق العظيم ﷺ سعيدات بحياة الضرائر، ولا يقتضى الأمر أن تستريح إحداهن إلى هذه المشاركة فى الزوج، ولكن النبى الخاتم ﷺ كان من ذلك

النمط الفريد بين الرجال الذى تؤثر الزوجة أن يكون لها حظ ومكان فى بيته على أن تكون لها مع غيره مملكة مستقلة تنفرد بها دون مشاركة، فها هى سودة بنت زمعة لما اختلفت مع عائشة بنت أبى بكر، وبدا لأبى القاسم ﷺ أن يطلق سودة بنت زمعة وبعث إليها بطلاقها فجلست على طريقه وقالت متوسلة:

ـ أنشدك بالذى أنزل عليك كتابة لم طلقتنى الموجدة؟

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ لا

قالت سودة بنت زمعة:

ـ فأنشدك الله لما راجعتنى، فلا حاجة لى فى الرجال، ولكن أحب أن أبعث فى نسائك

لقد كانت مؤمنة إيماناً صادقاً أن أمهات المؤمنين يبعثن يوم القيامة ويدخلن الجنة مع النبى ﷺ.

فراجعها المبعوث رحمة للعالمين ﷺ

وتؤكد أم المؤمنين سودة بنت زمعة صدقها فتقول:

- فإنى قد جعلت يومى لعائشة

وليس من بين نساء أبى القاسم ﷺ من دخلت بيته بعد وفاة خديجة بنت خويلد وفى حسابها أن تنفرد بخاتم النبيين ﷺ، فقد كانت مسألة التعدد تبدو طبيعية إلى حد كبير، فبعد موت خديجة اقترحت زوجة عثمان بن مظعون على السراج المنير ﷺ أن يخطب عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنه إذا أراد أن يتزوج بكراً، أما إذا أراد أن يتزوج ثيباً فسودة بنت زمعة فى وقت واحد

وأن برة - ميمونة - بنت الحارث الهلالية وهبت نفسها للنبى ﷺ وفى بيته عشر نساء - ثمانى أزواج وثنتان ملك يمينه ﷺ هما مارية بنت شمعون، وريحانة بنت زيد من بنى النضير ويقال من بنى قريظة -.

وأن عمر بن الخطاب عرض ابنته حفصة بعد موت زوجها خنيس بن حذافة يوم أحد على الصديق وعنده أم رومان بنت عامر.

وأن على بن أبى طالب هم أن يتزوج جويرية بنت أبى جهل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وأن أبا بكر الصديق والفاروق صهرى النبى ﷺ رغباً فى الزواج من أم سلمة بعد أن مات زوجها أبو سلمة ـ عبدالله بن عبدالأسد المخزومى ـ عقب غزوة أحد وفى بيت كل منهما **أكثر من زوجة.**

ولو خيرت أمهات المؤمنين بين حياتهن تلك المشتركة فى بيت واحد مع زوج واحد، وحياة أخرى منفردة فى غير ذلك البيت لما رضين عن حياتهن بديلاً

وكن مع ذلك مرهقات بهذه المشاركة تضنيهن الغيرة ويشقيهن ألا تنفرد كل واحدة منهن بقلب زوجها

• سودة بنت زمعة •

أسلمت سودة بنت زمعة هى وزوجها السكران بن عمرو بن عبدشمس قديما، وبايعا النبى ﷺ، ولما اشتد أذى واضطهاد قريش لأصحاب خاتم النبيين ﷺ هاجر السكران ابن عمرو وسودة إلى الحبشة فى الهجرة الثانية وتركا الأهل والمال وأم القرى فى سبيل الله

وذات يوم رأت سودة بنت زمعة فى منامها أن قمراً انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فأخبرت زوجها بذلك فقال السكران بن عمرو:

ـ لا ألبث أن أموت

واشتكى السكران بن عمرو، فرجع هو وزوجته إلى مكة فمات

ولما ماتت الطاهرة سعت خولة بنت حكيم ـ امرأة عثمان ابن مظعون ـ إلى المبعوث للناس كافة ﷺ فقالت:

ـ يا رسول الله كأنى أراك قد دخلت خلتك خلة ـ حاجة أو خليل ـ لفقد خديجة؟

قال أبو القاسم ﷺ:

ـ أجل كانت أم العيال وربة البيت

قالت امرأة عثمان بن مظعون:

ـ لم لا تتزوج يا نبى الله؟

فقال نبى الوفاء ﷺ:

ـ من.. بعد خديجة؟

قالت خولة بنت حكيم:

ـ إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً ـ المرأة التى كان لها زوج ـ

فعاد نبى الرحمة ﷺ يتساءل:

ـ فمن البكر؟

قالت امرأة عثمان بم مظعون:

ـ بنت أحق خلق الله بك.. بنت أبى بكر أول رجل صدقك وآمن بك

فتساءل إمام الخير ﷺ:

ـ ومن الثيب؟

قالت خولة بنت حكيم:

ـ سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول

فقال نبى الوفاء ﷺ:

ـ فاذهبى فاذكريهما ـ عائشة وسودة ـ على

فذهبت امرأة عثمان بن مظعون إلى دار زمعة بن عبدشمس ودخلت على سودة فقالت لها:

ـ ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

فقالت سودة بنت زمعة:

ـ و ماذا يا أم شريك؟

قالت خولة بنت حكيم:

ـ أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه

لقد رأت سودة رؤياها.. إن القمر الذى انقض عليها من السماء.. رسول الله ﷺ، لقد جعل الذى يقول للشئ كن فيكون رؤياها حقاً

فقالت سودة بنت زمعة فى فرح:

ـ وددت.. ادخلى على أبى فاذكرى له.

فدخلت أم شريك على زمعة بن قيس، وكان شيخاً كبيراً فتساءل:

ـ من هذه؟

قالت خولة بنت حكيم:

ـ أم شريك

فعاد زمعة بن قيس يتساءل:

ـ فما شأنك؟

قالت إمرأة عثمان بن مظعون:

ـ أرسلني محمد بن عبدالله أخطب عليه سودة

قال زمعة بن قيس:

ـ كفء كريم

ثم عاد يتساءل:

ـ ما تقول صاحبتك ـ سودة ـ؟

قالت أم شريك:

ـ تحب ذلك

فقال زمعة بن قيس:

ـ ادعيها إلي

فدعت خولة بنت حكيم سودة بنت زمعة، فأقبلت، فقال لها أبوها:

ـ أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبدالله قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوجك له؟

فقالت سودة بنت زمعة:

ـ نعم

فقال زمعة بن قيس لأم شريك:

ـ ادعيه

فجاء أبو القاسم ﷺ

فقلت سودة بنت زمعة:

ـ أمري إليك يا رسول الله

فقال النبي الخاتم ﷺ:

ـ مري رجلا من قومك يزوجك

فأمرت سودة بنت زمعة حاطب بن عمرو بن عبدشمس فزوجها

وأصدقها أبو القاسم ﷺ أربعمائة درهم

فكانت سودة بنت زمعة أول امرأة تزوجها نبى الوفاء ﷺ بعد خديجة

وكان ذلك فى شهر رمضان سنة عشرة من النبوة

ودخل بها السراج المنير ﷺ بمكة

ولما هاجر خاتم النبيين ﷺ إلى المدينة وبنى مسجده وحجراته وآخى بين المهاجرين والأنصار واطمأنت به داره بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة فحملا سودة بنت زمعة وأم كلثوم وفاطمة ابنتى رسول الله ﷺ، وأم أيمن امرأة زيد بن حارثة

وكانت سودة بنت زمعة راضية كل الرضا وهى تخدم بنتى رسول الله ﷺ أم كلثوم وفاطمة

وكانت سودة ثبطة ـ ثقيلة الجسم ـ ورغم ذلك كانت خفة روحها تدخل السرور والبهجة على نبى الرحمة ﷺ

•عائشة بنت أبى بكر

ولدت بمكة فى العام الثامن قبل الهجرة - السنة الخامسة من بعث خاتم الأنبياء ﷺ -

ولما توفت خديجة بنت خويلد فى شهر رمضان فى العام العاشر من مبعث أبى القاسم ﷺ حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً حتى خشى عليه، فقد كانت وزير صدق على الإسلام

ولما خفت وطأة الحزن عليها شرع يختلف إلى بيت صديقه أبى بكر بن أبى قحافة، فإذا رأى عائشة قال لأمها:

- يا أم رومان استوصى بابنتك عائشة خيراً واحفظينى فيها (رواه ابن سعد عن حبيب مولى عروة مرسلاً)

فكانت عائشة لها منزلة عند أهلها

وذات يوم ذهب أبو القاسم ﷺ إلى بيت الصديق فوجد عائشة مستترة بالباب وهى تبكى بكاء حزيناً فسألها:

ـ ما بك يا عائشة؟

قالت بنت أبي بكر:

ـ أمي

فدمعت عينا نبي الرحمة ﷺ، ودخل على أم رومان بنت عامر وقال لها:

ـ يا أم رومان ألم أوصكي بعائشة أن تحفظيني فيها؟

فقالت أم رومان:

ـ يا رسول الله بلغت الصديق عنى وأغضبته علينا

فقال نور الظلمة ﷺ:

ـ وإن فعلت

قالت أم رومان بنت عامر:

ـ لا جرم، لا أسوءها أبداً

وجاءت أم شريك ـ امرأة عثمان بن مظعون أخو

رسول الله ﷺ من الرضاعة ـ النبى ﷺ وقالت له:

ـ أى رسول الله ألا تتزوج؟

فتساءل السراج المنير ﷺ:

ـ ومن؟

قالت خولة بنت حكيم

إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً.

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ من البكر ومن الثيب؟

قالت أم شريك:

ـ أما البكر فابنة أحب الخلق إليك عائشة بنت أبى بكر، وأما الثيب فسودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك

فقال نبى الوفاء ﷺ:

ـ فاذهبى فاذكريهما على

فانطلقت خولة بنت حكيم إلى بيت أبى بكر الصديق فوجدت أم رومان بنت عامر فقالت لها:

ـ يا أم رومان وماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟

فتساءلت أم رومان:

ـ وماذا بك يا أم شريك؟

قالت امرأة عثمان بن مظعون:

ـ رسول الله ﷺ يذكر عائشة

فقالت أم رومان بنت عامر:

ـ انتظرى أبا بكر فإنه آت

وجاء عبدالله بن عثمان فذكرت ذلك فقال:

ـ أو تصلح له وهى ابنة أخيه؟

فرجعت أم شريك إلى إمام الخير ﷺ وذكرت له قول

أبى بكر

فقال إمام المتقين ﷺ:

ـ ارجعى وقولى له: أنت أخى فى الإسلام وابنتك تصلح لى

فأتت خولة بنت حكيم أبا بكر، فذهب عبدالله بن عثمان إلى رسول الله ﷺ وقال له:

ـ يا رسول الله قد كنت وعدت بها أو ذكرتها لمطعم بن عدى لابنه جبير

فأتى الصديق المطعم بن عدى ودخل عليه وعنده امرأته أم جبير فقال عبدالله بن عثمان:

ـ ما تقول فى أمر الجارية ـ يعنى ابنته عائشة ـ؟

فاستشار المطعم بن عدى امرأته وقال:

ـ ما تقولين يا هذه؟

فقالت أم جبير لعبدالله بن عثمان:

ـ لعلنا إن أنكحنا إليك تصبيه وتدخله دينك الذى أنت عليه

كانت تخشى إن يشرح الله عز وجل قلب ابنها جبير ابن طعم إلى الإسلام على يد أبى بكر إذا زوجه ابنته عائشة فقال أبو بكر بن أبى قحافة للمطعم بن عدى:

ـ ما تقول أنت؟

قال المطعم بن عدى:

ـ إنها تقول ما تسمع ـ إنها تقول ما سمعت ـ

فقام عبدالله بن عثمان وليس فى نفسه من الوعد الذى وعده المطعم بن عدى شىء.

قال ابن أبى قحافة لأم شريك:

ـ قولى لرسول الله ﷺ: فليأت.

فجاء أبو القاسم ﷺ وعقد على عائشة بنت أبى بكر

وأصدقها الهادى البشير ﷺ **أربعمائة درهم**

وكان ذلك فى شوال فى العام العاشر من البعث ـ قبل الهجرة بثلاث سنين ـ

وكانت عائشة بنت أبى بكر ابنة سبع سنين

وقيل: بنت تسع سنين (رواه سعيد بن منصور فى سننه)

ولما هاجر رسول الله ﷺ وبنى بمسجده وحجراته بعث زيد بن حارثة وأبا رافع، وبعث الصديق عبدالله بن أريقط الديلى ـ كان دليل رسول الله ﷺ وأبى بكر يوم الهجرة من مكة إلى المدينة ـ فحملوا سودة بنت زمعة وأم كلثوم وفاطمة ابنتى رسول الله ﷺ، وأم رومان وعائشة إلى المدينة

وذات يوم سأل الصديق صديقه ﷺ:

ـ يا نبى الله ما يمنعك من أن تبنى بأهلك ـ يعنى عائشة؟

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ الصداق

فأعطاه أبو بكر اثنتى عشرة أوقية ونشا ـ نصف أوقية ـ ذهبا فقدمها رسول الله ﷺ مهراً لعائشة وجعل الشافع المشفع ﷺ لسودة بنت زمعة **يوماً**، ولعائشة بنت أبى بكر **يوماً**

وكان الوحى ينزل فى حجرة عائشة بنت أبى بكر

وذات ضحى كان إمام الخير ﷺ فى حجرتها إذ دخل فى الحجرة عليهما رجل على فرس، فقام إليه خاتم الأنبياء ﷺ، فوضع يده على معرفة الفرس فجعل يكلمه، ثم رجع نور الظلمة ﷺ فقالت عائشة:

ـ يا رسول الله من هذا الذى كنت تناجى؟

فتساءل النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ:

ـ وهل رأيت أحداً؟

قالت عائشة:

ـ نعم رأيت رجلاً على فرس

فقال كاشف الغمة ﷺ:

ـ بمن شبهته؟

قالت بنت أبى بكر:

ـ بدحية بن خليفة الكلبى

قال سيد الأولين والآخرين ﷺ:

ـ فذاك جبريل، قد رأيت خيراً

وذات ضحى دخل جبريل عليه السلام حجرة عائشة والنبى عليه الصلاة والسلام معها فقال:

ـ يا عائشة

قالت بنت أبى بكر:

ـ لبيك وسعديك يا رسول الله

قال المبعوث للناس كافة ﷺ:

ـ هذا جبريل وقد أمرنى أن أقرئك منه السلام

قالت عائشة:

ـ ارجع إليه منى السلام ورحمة الله وبركاته، جزاك الله من خير ما يجزى الدخلاء (رواه ابن أبى شيبة والترمذى)

يقول أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ:

ـ أول من حب كان فى الإسلام حب النبى ﷺ لعائشة (رواه الترمذى)

وسأل رجل أبا القاسم ﷺ:

ـ يا نبى الله من أحب الناس إليك؟

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ عائشة

قال الرجل:

ـ لا نعنى من أهلك ـ من الرجال ـ؟

قال عليه الصلاة والسلام:

ـ أبو بكر ـ أبوها ـ (رواه الطبراني في الأوسط، وأخرجه البخاري عن عمرو بن العاص)

قالت عائشة لحبيب الرحمن ﷺ يوماً:

ـ بأبي وأمي يا رسول الله، ادع الله أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر

فرفع نبي التوبة ﷺ يديه وقال:

ـ اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة، ولا تغادر ذنباً، ولا تكسب بعدها خطيئة ولا إثماً.

ثم نظر إليها أبو القاسم ﷺ وتساءل:

ـ أفرحت يا عائشة؟

قالت بنت أبي بكر:

ـ أي والذي بعثك بالحق

فقال نبي الرحمة ﷺ:

ـ أما والذي بعثني بالحق ما خصصتك بها من بين أمتي، وإنها لصلاتي لأمتي بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقي إلى يوم القيامة، وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمنون على دعائي

وكانت عائشة تحرص على ألا يرى منها حبيب الرحمن ﷺ إلا ما يسر نظره وخاطره ويدخل السرور على قلبه.

وكانت بنت أبي بكر تسأل إمام النبيين ﷺ:

ـ يا رسول الله كيف حبك لي؟

فيقول أبو القاسم ﷺ:

ـ كعقدة الحبل

فتعود وتسأل:

ـ يا نبى الله كيف العقدة؟

فيقول سيد ولد آدم ﷺ.

ـ على حالها

وقالت عائشة ذات ليلة:

ـ يا رسول الله إن لجميع صويحباتى ـ تعنى زوجات النبى ﷺ ـ كنى.

قال صاحب الخلق العظيم ﷺ:

ـ تكنى باسم ابنك عبدالله بن الزبير ـ ابن أختها أسماء بنت أبى بكر ـ

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يقول:

ـ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (رواه مسلم والترمذى)

وكانت عائشة تفخر على أزواج النبى ﷺ بعشر خصال لم يعطهن ذات خمار ـ امرأة ـ قبلها فقالت:

ـ صورت لرسول الله ﷺ قبل أن أصور فى رحم أمى، وتزوجنى بكراً ولم يتزوج بكراً غيرى، وكان ينزل عليه الوحى وهو بين سحرى ـ رئتى ـ ونحرى، ونزلت براءتى ـ حادثة الإفك ـ من السماء، وكنت أحب الناس إليه، وكان يصلى وإنا معترضة بين يديه ـ أمامه ـ ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيرى، ولم ينكح امرأة أبويها مهاجرين غيرى، وكنت أغتسل وأنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه، وقبض الله نفسه بين نحرى وسحرى، ومات الليلة التى كان يدور على فيها ودفن فى بيتى ولم يله أحد غيرى أنا والملك (رواه ابن أبى شيبة)

•••••

•حفصة بنت عمر•

ابنة الفاروق، وأخت عبدالله بن عمر بن الخطاب

ولدت حفصة وقريش تبنى البيت أى قبل مبعث خاتم النبيين ﷺ بخمس سنين

تزوجت حفصة خنيس بن حذافة السهمى الذى أسلم قبل أن يدخل أبو القاسم ﷺ دار الإسلام ـ دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ـ فكان من السابقين الأولين، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين

وهاجرت حفصة بنت عمر مع زوجها خنيس بن حذافة إلى المدينة وشهد خنيس بدراً

وخرج خنيس بن حذافة يوم أحد فأصابته جراحات كثيرة ومات، وترك وراءه أرملته حفصة بنت عمر

ولما رأى عمر بن الخطاب ابنته قد تأيمت ـ صارت أيماً بلا زوج ـ لقى عثمان بن عفان فقال له:

ـ إن شئت أنكحتك حفصة

قال عثمان بن عفان:

ـ سأنظر في ذلك

فلبث ليالى ثم قال:

- ما أريد أن أتزوج يومى هذا.

فلقى الفاروق أبا بكر الصديق فقال له:

ـ إن شئت أنكحتك حفصة.

فلم يرجع عبد الله بن عثمان إلى الفاروق ردا، فكان أبو حفص أوجد عليه ـ أغضب عليه ـ من عثمان بن عفان، ولبث ليالى فخطبها أبو القاسم ﷺ ولقى أبو بكر

عمر بن الخطاب فقال:

ـ لعلك وجدت - غضبت - عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئا.

قال الفاروق:

ـ نعم

قال أبو بكر :

ـ فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئا حين عرضتها إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها، ولم أكن أفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لنكحتها (رواه البخاري والنسائي وابن حبان عن عمر).

وتزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

فعرف عمر بن الخطاب سر عزوف عثمان بن عفان عن الزواج من حفصة.

وكان زواج أبى القاسم ﷺ حفصة بنت عمر سنة ثلاث من الهجرة

تقول أم المؤمنين حفصة:

كان النبى ﷺ إذا سكت المؤذن لصلاة الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة.

●●●●●

• أم سلمة •

هى هند بنت أبى أمية.

زوج عبد الله بن عبد الأسد المخزومى.

أسلما وهاجرا إلى الحبشة الهجرتين.

ولدت هند بنت أبى أمية وهى فى الحبشة مولودا سماه عبد الله بن الأسد **سلمة** وبه كنى ثم ولدت أم سلمة عمرا ودرة.

ولما علم مهاجرو الحبشة أن النبى ﷺ قد بايع الأنصار عند العقبة رجع أبو سلمة وأم سلمة إلى مكة، وأذن نبى الرحمة ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى يثرب.

ولما أجمع أبو سلمة بن عبد الأسد الخروج إلى يثرب جهز بعيرا له وحمل أم سلمة بنت زاد الركب فحملت معها ابنها سلمة ثم خرج يقود بعير، فلما رآه رجال من

بنى المغيرة قاموا إليه وقالوا:

ـ هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه ـ يعنون هند بنت زاد الركب ـ علام نتركك تسير بها فى البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوا أم سلمة.

فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد وأهووا إلى ابنها سلمة وقالوا لرهط أبى سلمة:

ـ والله لانترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا.

فتجاذبوا سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به رهط أبيه وحبس بنو المغيرة هند بنت أبى أمية عندهم ومضى **أبو سلمة إلى يثرب فكان أول مهاجر إليها.**

وراحت أم سلمة كل غداة تخرج وتجلس بالأبطح فما تزال تبكى حتى تمسى سنة أو قريبا منها، حتى مر بها رجل

من بنى عمها ـ أحد بنى المغيرة ـ فرأى ما بها فرحمها وقال لبنى المغيرة:

ـ ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها؟

وما زال بهم حتى رقوا وقالوا لأم سلمة:

ـ الحقى بزوجك إن شئت.

ورد عليها عبد الأسد عند ذلك ابنها سلمة فرحلت ببعيرها ووضعت سلمة فى حجرها.

ولما دخلت هند بنت زاد الركب يثرب أخبرت أهلها أنها بنت أبى أمية بن المغيرة فكذبوها وقالوا:

ـ ما أكذب الغرائب.

حتى أنشأ أناس منهم الحج فقالوا:

ـ تكتبين إلى أهلك؟

فكتبت إليهم

فرجعوا إلى يثرب يصدقونها، وازدادت عليهم كرامة

(رواه ابن عساكر عن أم سلمة) .

ويوم بدر خرج أبو سلمة مع النبى ﷺ فلقى أخاه الأسود بن عبد الأسد ، فاستأذن نبى الرحمة ﷺ أن يقتله وهو يحاول أن يقتحم حوض المسلمين فمنعه الرحمة المهداة ﷺ ، وعند ذلك خرج حمزة بن عبد المطلب وقتل الأسود ابن عبد الأسد .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ أول من يعطى كتابه بشماله ـ ويدخل النار سفيان بن عبد الأسد ـ .

ونظر الصادق المصدوق ﷺ نحو أبى سلمة وقال :

ـ كما أن أبا سلمة أول من يعطى كتابه بيمينه ـ ويدخل الجنة ـ

وشهد أبو سلمة مع النبى عليه الصلاة والسلام غزوة أحد وثبت معه حين فر الناس فرماه أبو سلمة الجشعمى

بسهم فمكث شهرا يداوى جرحه حتى التأم.

ولما بلغ رسول الله ﷺ أن طليحة بن خويلد وأخاه سلمة قد جمعا فى قومها بنى أسد ومن أطاعهما إلي حرب النبى الخاتم ﷺ ، عقد رسول الله ﷺ لواء لأبى سلمة وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار فلم يلقوا أحدا من بنى أسد، ولكن أصابوا إبلا وشاء، فأعادت **سرية أبى سلمة بعض ما ضيعت غزوة أحد من هيبة المسلمين.**

ولكن جرح أبى سلمة انتكأ، فقالت أم سلمة لزوجها:

ـ بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما فى الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقى الرجل بعدها، فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدى ولا أنزوج بعدك

فقال أبو سلمة:

ـ أتطيعيني؟

قالت أم سلمة:

ـ ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك.

فقال عبد الله بن عبد الأسد:

ـ إذا مت فتزوجي.

ثم استطرد:

ـ اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا خيرا مني لا يحزنها ولا يؤذيها.

فلما مات أبو سلمة ـ وذلك لثلاث مضين لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة ـ قالت أم سلمة:

ـ غريب وفي أرض غربة لأبكينه بكاء يتحدث عنه..

وتهيأت للبكاء على عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، **واقبلت امرأة تريد أن تساعد هند بنت أبي أمية،**

فاستقبلها خاتم النبيين ﷺ وتساءل:

ـ أتريدين أن تدخلى الشيطان بيتا أخرجه الله منه؟

فكفت أم سلمة عن البكاء ولم تبك أبدا وقالت فى نفسها:

ـ من خير من أبى سلمة؟

وسألت أم سلمة طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

ـ يا رسول الله إن أبا سلمة مات فكيف أقول؟

قال حبيب الرحمن ﷺ :

ـ قولى: اللهم اغفر لى وله واعقبنى خيراً منه.

إذا حضرتم فقولوا خيرا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون.

ودخل نبى الرحمة على أم سلمة يعزيها بأبى سلمة فقال عليه الصلاة والسلام:

ـ اللهم عز حزنها وأجبر مصيبتها وأبدلها خيرا منه.

ولما انتهت عدة هند بنت زاد الركب تقدم أبو بكر إليها خاطبا فرفضت فى رفق.

وتلاه عمر بن الخطاب فلم يكن حظه منها غير حظ صاحبه.

وبعث رسول الله ﷺ إلى أم سلمة خاطبا فقالت:

ـ مرحبا برسول الله ﷺ وبرسوله، أخبر رسول الله أنى امرأة غيرى ـ غيورة ـ وأنى مصبية ـ لى صبية ـ وأنه ليس أحد من أوليائى شاهد وأنا كبيرة.

فبعث صاحب الخلق العظيم ﷺ إليها يقول:

ـ «أما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابنى مثل ما أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالى»(رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أم سلمة).

وقيل أن رسول الله ﷺ قال:

- «**أما السن فأنا أكبر منك، وأما الأطفال فهم إلى الله ورسوله، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها عنك**» (رواه الإمام أحمد، والطبراني في المعجم الكبير عن أم سلمة).

فقالت أم سلمة لابنها سلمة:

- **يا سلمة قم فزوج رسول الله ﷺ**.

وكان زواج أم سلمة من رسول الله ﷺ في ليال من شوال سنة أربع من الهجرة (رواه أبو نعيم)

ولما أصبح السراج المنير ﷺ قال لهند بنت زاد الركب:

- «**قد أصبح بك على أهلك كرامة، ولك عندهم منزلة، فإن أحببت أن تكون ليلتك هذه ويومك هذا كان، وإن أحببت أسبع لك سبعت، وإن سبعت لك سبعت لصواحبك - نساء النبي عليه الصلاة والسلام -**»(رواه ابن عساكر).

فقالت أم سلمة :

ـ يا رسول الله افعل ما أحببت

لقد كانت أم سلمة تقول فى نفسها

ـ ومن خير من أبى سلمة؟

فأعقبها الكريم الوهاب رسوله ﷺ

•••••

• زينب بنت جحش •

بنت عمة رسول الله ﷺ ، فأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم.

كانت برة بنت جحش تعتز بجمالها وشبابها وحسبها وقرابتها للنبى ﷺ .

زوجها النبى عليه الصلاة والسلام لابنه زيد بن محمد - زيد بن حارثة - ولكن برة بنت جحش لم تنس أنها الشريفة التى ليس لشابة حسناء شرفها وجمالها فكيف تكون تحت مولى - خادم - كزيد بن محمد الذى دخل بيت النبى ﷺ رقيقا ثم تبناه وأعتقه وصار ابنا له؟

وشكا زيد بن محمد ﷺ غير مرة ما يجد من سوء معاملة برة بنت جحش فكان طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ يقول له:

ـ أمسك عليك زوجك واتق الله.

فقال زيد بن محمد:

ـ يا رسول الله أفارقها؟

فقال إمام الخير ﷺ :

ـ احبس عليك زوجك.

ولكن زيدا لم يستطع إلى ذلك سبيلا ففارق برة بنت جحش.

ولما انقضت عدتها وكان الانفصام بين زيد وبرة لحكمة يعلمها علام الغيوب . . .

فذات ليلة كان الهادى البشير ﷺ جالسا يتحدث مع عائشة فأخذته غشية ثم سرى عنه فتبسم وقال:

ـ من يذهب إلى برة يبشرها أن الله تعالى زوجنيها فى السماء؟ (رواه الحاكم فى المستدرك عن محمد بن يحيى ابن حبان مرسلا).

وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأحزاب: الآية: ٣٧].

تقول أم المؤمنين عائشة:

لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني **بالإسلام** ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ **بالعتق** فأعتقه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ...﴾.

وتقول أم عبد الله :

ـ فأخذني ما قرب وما بعد من جمالها، وأخرى هي

أعظم الأمور وأشرفها ما صنع لها زوجها الله عز وجل من السماء

فخرجت سلمى خادم رسول الله ﷺتسرع فى المشى، فلما دخلت على برة بنت جحش قالت:

ـ أبشرى.

فتساءلت برة بنت جحش:

ـ ما وراءك؟

قالت سلمى:

ـ الخير كله

وحدثتها بما قال النبى الخاتم ﷺ .

فقامت برة بنت جحش إلى مسجدها ـ كان لها مسجد فى بيتها ـ وسجدت لله رب العالمين شكرا ثم قالت برة بنت جحش:

ـ إياى جعلت لله على صوم شهرين.

وتزوجها إمام الأنبياء ﷺ .

تقول أم المؤمنين برة بنت جحش:

ـالله المزوج وجبريل الشاهد (رواه الحاكم في المستدرك).

وسماها صاحب الخلق العظيم ﷺ **زينب فقالت**:

ـ يا رسول الله بدل اسم أبى فإن البرة حقيرة.

قال الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ :

ـ « لو كان أبوك مؤمنا سميناه باسم رجل منا أهل البيت، ولكن قد سميته جحشا والجحش من البرة» (رواه الدارقطنى)

وأولم رسول الله ﷺ على زينب بنت جحش ودعا المساكين والناس بعد ارتفاع النهار.

وجلس طوائف منهم يتحدثون فى بيت رسول الله ﷺ وزوجته مولية وجهها إلى الحائط فثقلوا على رسول الله ﷺ.

قال أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ :

ـ فما أدرى أنا أخبرت النبى ﷺ أن القوم قد خرجوا أو أخبرنى؟

ودخل رسول الله ﷺ البيت وكان معه أنس بن مالك فألقى الستر بينه وبين أنس، ونزل قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾[سورة الأحزاب الآية: ٥٣](رواه البخارى عن أنس).

وذاع فى المدينة قول المنافقين:

ـ محمد يحرم بنت الولد وقد تزوج امرأة ابنه.

فأنزل العليم الخبير ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

أى زيد بن محمد ليس بابنه حتى تحرم عليه حليلته ـ زينب بنت جحش ـ فرجع زيد إلى اسم أبيه الأول.

يقول زيد بن حارثة:

ـ لما نزل قوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط﴾ [سورة الأحزاب الآية:٥]، نزل بقلبى هم وحزن شديدين لانقطاع نسبى برسول الله ﷺ.

وكانت زينب بنت جحش تقول لأبى القاسم ﷺ:

ـ يا رسول الله ما أنا كأحد من نسائك، ليست امرأة من نسائك إلا وزوجها أبوها وأهلها غيرى زوجنيك الله من

السماء.

وذات يوم كان رسول الله ﷺ يقسم ما أفاء الله عليه فى رهط من المهاجرين والأنصار فتكلمت زينب بنت جحش فانتهرها عمر بن الخطاب، ودخل النبى عليه الصلاة والسلام ومعه الفاروق فإذا زينب بنت جحش تصلى وهى فى صلاتها فقال النذير المبين ﷺلعمر:

ـ « خل عنها يا عمر إنها أواهة» (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن راشد بن سعد).

ودخل النبى الخاتم ﷺ ذات ضحي على زينب بنت جحش فزعا يقول:

ـ لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها.

فقالت زينب بنت جحش:

ـ يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟

قال الشافع المشفع ﷺ:

ـ «**نعم إذا كثر الخبث**» (رواه البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش).

• جويرية بنت الحارث •

هى برة بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن جذيمة الخزاعية المصطلقية.

وقعت فى الأسر يوم غزوة بنى المصطلق، وكانت تحت مسافح بن صفوان المصطلقى.

ولما وزعت الغنائم وقعت برة بنت الحارث فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى

تقول أم المؤمنين عائشة:

كانت امرأة جميلة عليها حلاوة وملاحة لا يكاد يراها أحدا إلا وقعت فى نفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه على كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وعرفت أنه سيرى فيها النبى ﷺ ما رأيت

ووقفت أم عبد الله حيالها تحول بينها وبين دخولها

على إمام الأنبياء ﷺ الذى كان وقتئذ يستريح، ولكن برة بنت الحارث ألحت فى الاستئذان على خاتم النبيين ﷺ فلم تملك عائشة بنت أبى بكر إلا أن تأذن لها وهى كارهة.

قالت برة بنت الحارث:

ـ يا رسول الله أنا برة بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه، وقد أصابنى من الأمر ما لم يخف عليك فوقعت فى سهم ثابت بن قيس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسى وجئت أستعينك.

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ هل لك فى خير من ذلك؟

فتساءلت برة بنت الحارث:

ـ وما هو يا رسول الله؟

قال أبو القاسم ﷺ :

ـ أقضى كتابك وأتزوجك.

فقالت برة بنت الحارث فى فرح:

ـ نعم

قال النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ:

ـ قد فعلت

وسماها نبى الرحمة ﷺ **جويرية.**

وكان صداقها عتقها كل أسير من بنى المصطلق (رواه عبد الرزاق).

ولما خرج الخبر إلى الناس أن نبى الرحمة ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث قالوا:

ـ أصهار رسول الله ﷺ.

تقول أم المؤمنين عائشة:

ـ فلا نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.

وكان زواج إمام الخير ﷺ بجويرية بنت الحارث سنة خمس من الهجرة

وقيل: في شعبان سنة ست من الهجرة.

وذات يوم قالت جويرية بنت الحارث:

- يا نبي الله إن أزواجك يفخرون على ويقلن: لم يتزوجك رسول الله ﷺ:

فقال الصادق المصدوق ﷺ:

- أولم أعظم صداقك؟ ألم أعتق أربعين من قومك؟(رواه عبد الرزاق عن مجاهد).

وضرب عليها رسول الله ﷺ الحجاب، وكان يقسم لها ما يقسم لنسائه.

ومر طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ على جويرية بنت الحارث وهي في مسجدها قريبا من نصف النهار فقال لها:

ـ ما زلت على حالك؟

كانت قد صلت الفجر ثم جلست حتى ارتفع الضحى.

فقالت جويرية بنت الحارث:

ـ نعم

قال أمير الأنبياء ﷺ:

ـ ألا أعلمك كلمات تقولينها؟ سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته.

ودخل المصطفى المجتبى ﷺ يوم الجمعة وهي صائمة فسألها:

ـ صمت أمس؟

قالت جويرية بنت الحارث:

ـ لا

قال السراج المنير ﷺ:

ـ أفتريدين الصوم غدا؟

قالت جويرية بنت الحارث:

ـ لا

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ فأنطرى

هل أراد إمام الخير ﷺ أن يخبرنا أن من أراد صوم يوم الجمعة نافلة أن يسبقه أو يتبعه بصيام يوم؟

وأطعم نور الظلمة ﷺ جويرية بنت الحارث يوم خيبر ثمانين وسقا تمرا وعشرين وسقا شعيرا أو قمحا.

●●●●●

• صفية بنت حيى بن أخطب •

لما فتح الله خيبر وقعت زينب بنت حيى بن أخطب فى سهم الصحابى الجليل دحية بن خليفة الكلبى، فاشتراها الشافع المشفع ﷺ بسبعة أرؤس (رواه البخارى).

تقول أم المؤمنين عائشة:

ـ كانت صفية ـ زينب ـ من الصفى (رواه ابن النجار عن عائشة).

واصطفاها صاحب الخلق العظيم ﷺ

كانت تحت سلام بن مشكم القرظى ففارقها فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النصرى

وهى من سبط هارون بن عمران أخى موسى عليهما السلام

لما طهرت زينب بنت حيى بن أخطب من حيضتها اصطفاها أبو القاسم ﷺ وسماها **صفية** وحملها وراءه إلى منزل على ستة أميال من خيبر.

وبات أبو أيوب الأنصارى ـ خالد بن زيد ـ ليلة دخل النبى ﷺ بصفية قائما قريبا من قبته آخذا بقائم سيفه حتى أصبح.

ولما خرج النبى عليه الصلاة والسلام بكرة، كبر أبو أيوب حين أبصر خاتم النبيين ﷺ فسأله صاحب الشفاعة ﷺ :

ـ مالك يا أبا أيوب؟

قال خالد بن زيد:

ـ لم أرقد ليلتى هذه يا رسول الله.

فتساءل سيد ولد آدم ﷺ:

ـ لم يا أبا أيوب؟

قال أبو أيوب الأنصارى:

ـ لما دخلت بهذه المرأة ذكرت أنك قتلت أباها وأخاها وزوجها وعامة عشيرتها فخفت لعمر الله أن تغتالك.

فضحك المبعوث للناس كافة ﷺ وقال له معروفا
(رواه ابن عساكر عن عروة بن الزبير).

وكانت زينب بنت حيى بن أخطب قد رأت فى منامها وهى عروس أن قمرا وقع فى حجرها، فلما ذكرت لزوجها كنانة بن الربيع لطمها على وجهها وقال:

ـ إنك لتمدين عنقك إلى أن تكونى عند ملك العرب ـ يعنى محمدا ﷺ ـ ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز ومحمدا.

فلم يزل أثر لطمة كنانة بن الربيع فى وجهها حتى أتى بها إلى النبى عليه الصلاة والسلام فسألها:

ـ ما هذه الخضرة؟

قالت صفية بنت حيى بن أخطب:

ـ كان رأسى فى حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قمرا وقع فى حجرى فأخبرته بذلك فلطمنى وقال: تتمنى ملك العرب، ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز ومحمدا.

وألقى كاشف الغمة ﷺ تمرا على سقيفة وقال:

ـ كلوا من وليمة رسول الله

ولما قدمت صفية من خيبر أنزلت فى بيت لحارثة بن النعمان فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها

ولما اعتكف رسول الله ﷺ فى مسجده قامت صفية بنت حيى بن أخطب لتكلمه، فلما جاءت المسجد وقفت تتحدث مع الهادى البشير ﷺ، ثم قام ليبلغها بيتها فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا أبا القاسم ﷺ رجعا، فناداهما وقال لهما:

ـ تعاليا فإنها صفية، على رسلكما إنها صفية بنت حيى ـ كونا مكانكما ـ

فكبر على الرجلين ذلك وقالا:

ـ نعوذ بالله ، سبحان الله يا رسول الله

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا» (رواه ابن ماجه عن صفية بنت حيى بن أخطب).

●●●●●

• رملة بنت أبي سفيان •

كانت تحت عبيد الله بن جحش

أسلما وهاجرا إلى الحبشة الهجرة الثانية.

أخذ مهاجرو الحبشة يعبدون الله مطمئنين مستبشرين إلا عبيد الله بن جحش فقد كان حديث عهد بالنصرانية قبل أن ينطق بشهادة الحق.

وكانت فكرة تجسيد الآلهة تستهوي عبيد الله بن جحش أكثر من فكرة الإله الواحد الأحد الذى ليس كمثله شيء، وكانت خمر الكنائس المعتقة تبعث النشوة فى نفس عبيد الله بن جحش.

وذات ليلة رأت رملة بنت أبي سفيان رؤيا أفزعتها .. رأت زوجها عبيد الله بن جحش كالخنزير، فراعها تغيير صورته حتى أنها أنكرته.

وولدت رملة بنت أبى سفيان مولودة سمتها حبيبة.. فكنيت بها.

وذات يوم قال عبيد الله بن جحش لأم حبيبة:

ـ يا أم حبيبة إنى نظرت فى هذا الدين فلم أر دينا خيراً من دين النصرانية، وكنت قد دنت بها ثم دخلت فى دين محمد، ثم خرجت إلى دين النصرانية

فقالت أم حبيبة فى صوت ينبض إصراراً ووعيداً:

ـ والله ما خير لك ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٠٤]

وحاول عبيدالله بن جحش أن يرد أم حبيبة عن دينها فأبت وقالت:

ـ لقد رأيت رؤيا أفزعتنى.. رأيتك يا عبيدالله خنزيراً، وألقى بك فى نار جهنم، فقمت من نومى مفزعة فكيف

يلقى فى النار من رضى الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا نبياً؟ لقد بشر الحق جل وعلا كل من هاجر لله ورسوله بالجنة

قال عبيدالله بن جحش ساخراً:

ـ جنة..نار؟

وأكب عبيد بن جحش على الخمر يشربها

وكان الفراق بين أم حبيبة وبينه

وراح عبيدالله بن جحش يمر على المسلمين من مهاجرى الحبشة فيقول:

ـ فقحنا وصأصأتم

فقال أصحاب رسول الله ﷺ:

ـ والله لم تبصروا، إننا لا نلتمس البصر، لقد خسرت الدنيا والآخرة

واعتكفت رملة بنت أبى سفيان فى دارها تمضى سحابة يومها فى قراءة القرآن، وتقوم الليل وتناجى الحى الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، وتبثه همومها وتشكو إليه حالها وهو أعلم بها.

لقد جعلتها ردة عبيدالله بن جحش تجتهد فى العبادة والتقرب إلى القريب المجيب الحنان المنان

وذات ليلة رأت أم حبيبة آتياً يقول لها:

ـ يا أم المؤمنين

هبت من نومها.. وراحت تفكر فى ذلك الهاتف، إنها لن تكون أماً للمؤمنين إلا إذا تزوجت المصطفى المجتبى ﷺ، إنه فى مكة، وهى غريبة وحيدة فى بلاد الحبشة

وعادت رملة بنت أبى سفيان تسأل نفسها:

ترى أتتحقق رؤياها هذه كما تحققت رؤياها يوم رأت زوجها عبيدالله بن جحش خنزيراً..؟

متى تتحقق هذه الرؤيا؟ لقد هاجرت إلى الحبشة خشية الفتنة بعد أن أعلنت على الملأ حبها لله ولرسوله ﷺ يفوق حبها لأهلها وعشيرتها والدنيا بأثرها، لو رجعت إلى مكة فسوف يصب عليها أبوها أبو سفيان بن حرب العذاب صباً وربما قتلها إذا لم تعد إلى عبادة اللات والعزى..

وتحققت رؤيا المهاجرة الصابرة أم حبيبة، فقد بعث نبى الوفاء ﷺ الصحابى الجليل عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة ليخطب عليه أم حبيبة

فزوج النجاشى أم حبيبة للنبى عليه الصلاة والسلام سنة سبع من الهجرة

وأصدق النجاشى عن رسول الله ﷺ رملة بنت أبى سفيان أربعمائة دينار ـ كان صداق رسول الله ﷺ لكل واحدة من نسائه أربعمائة درهم ـ وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة (رواه الدارقطنى)

ولما بلغ كبير تجار مكة أبو سفيان بن حرب خبر زواج ابنته أم حبيبة رسول الله ﷺ قال:

ـ ذلك الفحل لا يقرع أنفه ـ لا يقدع أنفه ـ (رواه ابن الأثير وابن حجر)

فأنزل الله عزوجل: ﴿ **عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً** ﴾ [سورة الممتحنة الآية: ٧]

فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان، واسترخت شكيمته في العداوة للإسلام ونبي الإسلام ﷺ

ولما بعثت قريش أبا سفيان بن حرب إلى المدينة ليكلم صاحب الخلق العظيم ﷺ في تجديد العهد وزيادة المدة بعد أن غدرت بنو بكر بخزاعة وأعان بني بكر رجال من قريش على خزاعة حلفاء النبي عليه الصلاة والسلام وبذلك خرقت قريش شروط صلح الحديبية، ودخل أبو سفيان دار ابنته أم حبيبة، ولكنها لم ترحب به ولم تفرح بمقدمه، بل

عندما أراد أبو سفيان أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فأحس زعيم قريش كأن خنجراً مسموماً صوب إلى صدره، فقال فى صوت ينز حزناً وألما وإن حاول أن يتظاهر بالهدوء:

ـ يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى؟

فقالت رملة بنت أبى سفيان:

ـ بل هو فراش النبى ﷺ وأنت مشرك نجس، فلا أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ

فقال زعيم قريش فى غضب حاول كبحه:

ـ والله لقد أصابك بعدى شر

فقالت أم حبيبة فى إيمان وإخلاص وصدق:

ـ بل هدانى الله عز وجل للإسلام وأنت تعبد حجراً لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يبصر، واعجبا منك يا أبت

وأنت سيد قريش وكبيرها

قال أبو سفيان بن حرب:

- **أنا أترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد؟**(رواه ابن سعد)

وروت أم حبيبة عن رسول الله ﷺ وزينب بنت جحش خمسة وستين حديثاً، أخرج لها فى الصحيحين أربعة أحاديث، واتفقا على حديثين، ولمسلم مثلها:

وروى عن أم حبيبة سالم بن سوار، ومولاها - خادمها - أبو الجراح، وعروة بن الزبير، وزينب بنت أبى سلمة وصفية بنت أبى شيبة.

●●●●●

• ميمونة بنت الحارث •

كانت برة بنت الحارث الهلالية تحت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفى فى الجاهلية، ثم فارقها فخلف عليها أبو رهم بن عبدالعزى، فتوفى عنها

وبرة بنت الحارث أخت لبابة بنت الحارث إمرأة العباس بن عبدالمطلب، وأخت أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبى طالب، وأخت سلمى بنت عميس، وأمهن هند بنت عوف.

لما قدم صاحب الخلق العظيم ﷺ مكة عام القضية - عمرة القضاء - فى العام السابع الهجرى ذهب نبى الوفاء ﷺ إلى الأبطح وجلس فى قبته ليستريح فدخل عليه عمه العباس بن عبدالمطلب فأفضى إلى ابن أخيه ﷺ بأمنية برة بنت الحارث الهلالية أن تكون زوجاً لرسول الله ﷺ

فبعث المبعوث رحمة للعالمين ﷺ ابن عمه جعفر بن أبي طالب إلى برة بنت الحارث ليخطبها، فلما خرج جعفر من عند برة بنت الحارث استخف بها الطرب فركبت بعيرها وانطلقت إلى الأبطح حيث قبة خاتم النبيين ﷺ وقالت:

ـ البعير وما عليه لله ولرسوله

وتحدث بعض الناس عما فعلت برة بنت الحارث وقالوا:

ـ إنها لم تستطع الانتظار فجاءت تهب نفسها لله ولرسوله

وسماها صاحب الشفاعة ﷺ **ميمونة**

قال عكرمة مولى ابن عباس:

ـ ميمونة وهبت نفسها للنبي ﷺ (رواه عبدالرزاق عن عكرمة)

وقال قتادة:

- إن ميمونة بنت الحارث وهبت نفسها للنبى ﷺ (رواه عبدالرزاق)

ووجد المنافقون نهزة - فرصة - للغمز واللمز فأنزل السميع البصير: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٥٠]

وتزوجها النبى عليه الصلاة والسلام حلالاً، وكانت آخر امرأة تزوجها النبى الخاتم ﷺ وأعرس أبو القاسم ﷺ بميمونة بنت الحارث بسرف - موضع يبعد عن مكة ستة أميال - وكان المبعوث رحمة للعالمين ﷺ يقول:

- الأخوات الأربع: ميمونة وأم الفضل - لبابة - وسلمى وأسماء بنت عميس - أختهن لأمهن - مؤمنات (رواه النسائى، والحاكم فى المستدرك عن عبدالله بن عباس)

وذات ليلة سمعت ميمونة بنت الحارث الذى لا ينطق

عن الهوى ﷺ يقول:

ـ لا تزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا وشك أن يعمهم الله بعذاب (رواه الإمام أحمد، وأبو يعلى)

وأعتقت ميمونة بنت الحارث وليدة ـ الجمع ولائد وهى الجارية التى تخدم سيدتها ـ لها ولم تستأذن النبى ﷺ، فلما كان يومها الذى يدور فيه ﷺ قالت:

ـ أشعرت يا رسول الله أنى أعتقت وليدتى؟

فتساءل السراج المنير ﷺ:

ـ أوفعلت؟

قالت ميمونة بنت الحارث:

ـ نعم

فقال نبى الرحمة ﷺ مُرغبًا فى صلة الرحمة:

ـ أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك (رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى)

وخرج معلم البشرية ﷺ ذات ليلة من عند ميمونة بنت الحارث فأغلقت الباب، فلما رجع وجاء يستفتح أبت أن تفتح له فقال عليه الصلاة والسلام:

ـ أقسمت إلا فتحته لى

فقالت ميمونة بنت الحارث:

ـ تذهب إلى أزواجك فى ليلتى هذه؟

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ ما فعلت، ولكن وجدت حقناً من بولى

ففتحت له الباب

وسألت ميمونة بنت الحارث يوما الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ عن طعام أهل الجنة وشرابهم

فقال عليه الصلاة والسلام:

ـ إن الذى ليشتهى الطير فى الجنة فيجئ مثل البختى يقع على خوانه ـ سريره ـ لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير (رواه ابن أبى الدنيا عن ميمونة بنت الحارث)

وذات ليلة كان بلال بن رباح يؤذن لصلاة العشاء الآخرة فقام سيد الأولين والآخرين ﷺ بين صفى الرجال والنساء فقال:

ـ يا معشر النساء إذا سمعتن أذان هذا الحبشى وإقامته فقلن كما يقول، فإن لكن بكل حرف ألف ألف درجة

فتساءل عمر بن الخطاب:

ـ يا رسول الله هذا للنساء فما للرجال؟

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ ضعفان (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ميمونة بنت الحارث)

• سراري رسول الله ﷺ •

كانت للمبعوث للناس كافة ﷺ **سرياتان**: مارية القبطية، ريحانة بنت زيد

• مارية بنت شمعون القبطية •

بعد أن عاهد المبعوث للناس كافة ﷺ قريشاً على السلم ـ صلح الحديبية ـ لم يركن إلى الدعة والهدوء، فقد أمره الله عز وجل أن يبلغ الرسالة، فبعث أبو القاسم ﷺ إلى ملوك الأرض وحكامها فأرسل إلى كسرى وقيصر والنجاشى والمقوقس صاحب مصر وحمل الصحابى الجليل حاطب بن أبى بلتعة كتاب رسول الله ﷺ وشد على راحلته وسار إلى مصر وكان على مصر جريح بن ميناء ـ المقوقس ـ

وأقام حاطب بن أبى بلتعة عند المقوقس خمسة أيام،

ثم خرج من قصره وفى رفقته مارية القبطية وأختها سيرين، وطبيب وبغلة بيضاء وهدايا المقوقس

ولما رجع حاطب بن أبى بلتعة إلى المدينة قدم كتاب إلى النبى العربى الأمى القرشى الهاشى ﷺ وقال:

قال لى المقوقس: القبط لا تطاوعنى على اتباعه، ولا أحب أن تعلم بمحاورتى إياك، وأنا أضن - أبخل - بملكى أن أفارقه، فارجع إلى صاحبك وارحل من عندى ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

- ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه

وقال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ للطبيب الذى جاء من مصر:

- ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع

وأخذ إمام الخير ﷺ مارية القبطية، وعشرين ثوباً من قباطى مصر، وهدايا العسل والبغلة البيضاء وسماها دلدل وما كان العرب يعرفون البغال من قبل، وما كان لديهم بغلة سواها، وأهدى سيرين إلى شاعره حسان بن ثابت وكانت مارية بنت شمعون القبطية جميلة بيضاء عجب بها رسول الله ﷺ وأحبها وحظيت عنده وفى منزل خاص وغير بعيد من بيت النبى ﷺ، كانت تقيم سريرة أبى **القاسم ﷺ، وإن لم تحظ بلقب أم المؤمنين، ولكنها حظيت دونهن جميعاً بشرف أمومتها لابنه إبراهيم إلى جانب حظوتها مثلهن بشرف الصحبة**، وهى لم تقم فى حجراته الملحقة بالمسجد، إلا أن أثرها فى هذه الحجرات كان جد بعيد فمن تكون هذه السرية؟ وكيف دخلت حياة المصطفى المجتبى ﷺ؟ وأى موضع كان لها فى هذه الحياة؟

فى قرية من صعيد مصر تدعى حفن من كورة أنصنا ـ قريبة من قرية أنصنا الواقعة على الضفة الشرقية للنيل تجاه

الأشمونين ـ

أنزل رسول الله ﷺ مارية وأختها سيرين على أم سليم بنت ملحان ـ أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ـ فدخل عليهما رسول الله ﷺ فأسلمتا هناك، ووطئ أبو القاسم ﷺمارية بنت شمعون بالملك وحولها إلى مال له بالعالية ـ كان من مال بنى النضير ـ فكانت فيه فى الصيف، وفى خرافة النخل ـ الخرافة: النخل المجتنى ـ فكان يأتيها هناك

وولدت مارية لرسول الله ﷺ غلاماً سماه إبراهيم، وعق عنه بشاة يوم سابعه، وحلق رأسه وتصدق بزنته فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن فى الأرض

يقول ابن عباس:

ـ لما ولدت مارية قال رسول الله ﷺ: أعتقها ولدها

(رواه الدارقطنى)

• ريحانة بنت زيد •

كانت ريحانة بنت زيد من بنى النضير

وقيل: من بنى قريظة

وكانت متزوجة فيهم، وكان رسول الله ﷺ قد أخذها لنفسه صفيا

وكانت ريحانة جميلة فعرض عليها إمام الخير ﷺ أن تسلم فأبت إلا اليهودية

فعزلها رسول الله ﷺ ووجد فى نفسه ـ حزن وغضب ـ فأرسل إلى عمار بن ياسر فذكر له ذلك فقال ابن سمية:

ـ فداك أبى وأمى تسلم

فخرج عمار حتى جاءها فجعل يقول لها:

ـ لا تتبعى قومك فقد رأيت ما أدخل عليهم حيى بن

أخطب، فأسلمى يصطفيك رسول الله ﷺ لنفسه

فبينما رسول الله ﷺ فى أصحابه إذ سمع وقع نعلين فقال:

- إن هاتين لنعلا ابن سمية يبشرنى بإسلام ريحانة

فجاء عمار بن ياسر يقول

- يا رسول الله قد أسلمت ريحانة

فسر بذلك

وقال ابن إسحاق:

لما فتح رسول الله ﷺ قريظة، اصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن حذافة، فكانت عنده حتى توفى عنها وهى فى ملكه

وقال الواقدى:

أرسل رسول الله ﷺ ريحانة إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر، فكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم

طهرت من حيضتها، فجاءت أم المنذر فأخبرت النبى ﷺ، فجاءها فى منزل أم المنذر فقال لها:

ـ إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت، وإن أحببت أن تكونى فى ملكى أطأك بالملك فعلت

فقالت ريحانة:

ـ يا رسول الله إن أخف عليك وعلى أن أكون فى ملكك

فكانت فى ملك رسول الله ﷺ

●●●●●

•خلاف ومخاصمة رسول الله ﷺ لنسائه•

كان صاحب الخلق العظيم ﷺ حلو المعاشرة لزوجاته، كثيرَ المسامرة لهن، متحملاً لأخلاقهن وخاصة غيرتهن، وكان نساؤه يحتملن منه شدة الحال وخشونة العيش، وكان يسره ذلك منهن، ولكن كثيراً ما كان يحدث خصام وخلاف بين نساء النبى ﷺ، والحق أن أبا القاسم ﷺ ما ضاق بهذا إلا أن يجاوزن المدى فكان يغضب أو يزجر أو يهجر لعلهن يرعوين

وفيما عدا تلك الحالات القليلة التى اضطر فيها إلى أخذهن بالشدة، لم يكره طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ أن يقف ساعات فراغه من معركته الكبرى فى سبيل الدين الحق، ليرقب تلك المعركة الصغرى بين زوجاته، يشعلها حبهن له وغيرتهن عليه

• خلاف الرسول ﷺ مع سودة بنت زمعة •

شهد بيت النبوة من غيرة نسائه المحتدمة ما يخيل إلينا معه أنها جعلت هذا البيت ميدانا لمعارك نسوية لا تهدأ ولا تفتر، وإن لم تر فيه الفطرة سوى أثر لحيوية هؤلاء الزوجات ومظهر من مظاهر التنافس على حب زوجهن والرغبة فى الإستئثار به

كانت فى سودة بنت زمعة طيبة تقرب من السذاجة على الرغم من معرفتها وعلمها أن رسول الله ﷺ كان يحب عائشة بنت أبى بكر، فأفسحت لها المكان الأول فى البيت المحمدى وحرصت جهدها على أن تتحرى مرضاة عائشة وأن تسهر على راحتها

ولكن وفدت على بيوت رسول الله ﷺ أزواج أخريات فيهن: حفصة بنت عمر، وزينب بنت جحش، وأم سلمة،

فما ترددت سودة بنت زمعة فى إيثار عائشة بإخلاصها ومودتها

وكان رسول الله ﷺ لا يستكثر من سودة بنت زمعة، وحاول صاحب الخلق العظيم ﷺ أن يفتح لها قلبه، لكن بشريته لم تطاوعه، فكان أقصى ما استطاعه لسودة أن يعدل بينها وبين نسائه فيما يملك من مبيت، أما عواطفه فأنى له وهو بشر أن يفسرها على غيرى ما تهوى أو يخضعها بإرادته لموازين العدل وضوابط القسمة

وبدا لرسول الله ﷺ آخر الأمر أن يسرحها سراحاً جميلاً

وانتظر أبو القاسم ﷺ إلى أن جاءت ليلتها فأنبأها مترفقا بعزمه على طلاقها

فقالت سودة فى ضراعة:

ـ يا رسول الله أمسكنى، لا تطلقنى، ووالله ما بى على

الأزواج من حرص، ولكن أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجاً لك، واجعل يومى لعائشة

فقبله رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [سورة النساء الآية: ١٢٨] (أخرجه الترمذى عن ابن عباس)

●●●●●

• خصام عائشة ورسول الله ﷺ •

كانت عائشة بين زوجات رسول الله ﷺ أشدهن غيرة عليه ونضالاً فى سبيل الاستئثار بحبه، وعذرها أنها أول من تفتح لها قلبه بعد خديجة بنت خويلد، وأنها وحدها التى تزوجها بكراً، وأنها عائشة بنت أبى بكر خليل ووزير رسول الله ﷺ

كان فى بيت النبوة زينب بنت جحش الشابة الجميلة التى زوجها الله عز وجل أبا القاسم ﷺ من السماء

وأم سلمة بنت أبى أمية زاد الركب الحسناء الأبية المترفعة

وجويرية بنت الحارث التى تأخذ العين بملاحتها

وصفية بنت حيى بن أخطب سليلة هارون بن عمران عليه السلام

وأم حبيبة بنت أبى سفيان زعيم مكة وقائد جيشها

وريحانة بنت عمرو حسناء بنى قريظة

ثم كانت مارية بنت شمعون

وكانت حفصة بنت عمر أقرب الضرائر إلى قلب عائشة، وكان هناك حلف بينهما، ولعل ذلك يرجع إلى أن حفصة كانت أبعدهن عن الخطر فى ميدان المنافسة فتوددت فى شجاعة ولباقة إليها متخذة من تقاربهما فى الأبوة سبيلاً إلى هذا التودد، واستجابت حفصة لهذا التودد، فقد سرها أن تؤثرها حبيبة رسول الله ﷺ بالمودة وتتخذها مستودعا لسرها فكان هذا الحلف، وراحت حفصة تؤازر عائشة

وكان كل ذلك يجعل بنت أبى بكر تحرص كل الحرص أن تذود هؤلاء عن مكانها فى قلب رسول الله ﷺ مهما كلفها الأمر، وأن تحاول بكل طاقتها وذكائها وصباها وأنوثتها

بعث أزواج رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء إلى أبيها فاستأذنت عليه وهو مضطجع مع عائشة فى مرطها ـ ثوبها ـ فأذن لها فقالت فاطمة:

ـ يا رسول الله إن أزواجك أرسلتنى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى بكر

وعائشة ساكتة

فقال رسول الله ﷺ:

ـ أى بنية ألست تحبين ما أحب؟

قالت الزهراء:

ـ بلى

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ فأحبى هذه

فقامت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ لما سمعت

ذلك من أبيها، وخرجت إلى أزواجه فأخبرتهن بالذى قال رسول الله ﷺ

فقال أزواج النبى عليه الصلاة والسلام:

ـ ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعى إلى رسول الله ﷺ فقولى له: إن نساءك ينشدنك العدل وابنة أبى قحافة

فقالت الزهراء:

ـ والله لا أكلمه فيها أبداً (رواه مسلم)

لم تدر عائشة بنت أبى بكر كيف تدفع هذا الضر المحتوم، فقد كانت تعرف كما يعرف سواها أن النبى عليه **الصلاة والسلام كان يتزوج بين الحين والحين لضرورة وحكمة يعلمها علام الغيوب، فكانت عائشة تسيغ هذه المشاركة على مر الأيام، لكن يخطئ من يزعم أن ابنة أبى بكر أساغت يوماً مرارة الضرائر، ويجهل فطرة المرأة من يظن أن عائشة استراحت من ألم حرمانها من الأبناء**

ووجدت فى كنيتها بأم عبدالله أو فى أمومتها للمؤمنين جميعاً ما يطفئ نار شوقها لأن يكون ولد من زوج حبيب عز مثله فى الأزواج ﷺ

وعمد نساء النبى ﷺ فأرسلن زينب بنت جحش إلى رسول الله ﷺ وهى التى كانت تسامى عائشة منزلة وشرفا من أزواج النبى عليه الصلاة والسلام عنده، فاستأذنت عليه فأذن لها فقالت زينب:

ـ يا رسول الله إن أزواجك أرسلتنى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة

فوقعت عائشة فى زينب بنت جحش واستطالت، وكانت عائشة ترقب النبى ﷺ أن يأذن لها، فلما عرفت أن أبا القاسم ﷺ لا يكره أن تنتصر عائشة، وقعت فى بنت عمة رسول الله ﷺ حتى أفحمتها فقال رسول الله ﷺ وهو يبتسم:

ـ إنها ابنة أبى بكر (رواه مسلم)

وذات يوم كان بين النبى عليه الصلاة والسلام وعائشة كلام فقال لها:

ـ من ترضين بيني وبينك؟ أترضين عمر؟

قالت أم عبدالله:

ـ لا أرضى عمر قط عمر غليظ

فتساءل نبى الرحمة ﷺ:

ـ أترضين بأبيك بيني وبينك؟

قالت عائشة:

ـ نعم

فبعث إليه رسول الله ﷺ، فجاء أبو بكر فقال له رسول الله ﷺ:

ـ هذه من أمرها كذا

قالت عائشة:

ـ اتق الله ولا تقل إلا حقاً

فاستنكر أبو بكر قول ابنته ورفع يده وهوى بها على

أنفها فولت عائشة هاربة منه ولاذت بظهر رسول الله ﷺ حتى قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ للصديق:

ـ أقسمت عليك لما خرجت، فإنا لم ندعك لهذا، إنا لم نرد هذا، إنا لم نرد هذا (رواه الديلمى)

وكان رسول الله ﷺ يقول لعائشة:

ـ إنى أعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى

فتساءلت بنت أبى بكر:

ـ من أين تعرف ذلك؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ أما إذا كنت راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت عنى غضبى قلت: لا ورب إبراهيم

قالت أم عبدالله:

ـ أجل والله يا رسول ما أهجر إلا اسمك (أخرجه البخارى، والإمام أحمد، ومسلم)

وكان نور الظلمة ﷺ يحب الحلواء والعسل، فكان إذا

صلى العصر دار على أزواجه.

ولما رأت عائشة النبى ﷺ دخل على زينب بنت عمته واحتبس عندها أكثر مما يحبس فسألت حفصة عن ذلك فقالت:

ـ أهدت لها امرأة من قومها عكة ـ آنية وجمعها عكك وعكك ـ من عسل فسقت منه أبا القاسم ﷺ شربة

وراحت عائشة تؤازرها حفصة ترقب الزوجة الجديدة الشابة القرشية الحسناء وتحصى الدقائق والساعات التى يقضيها الرسول ﷺ معها

فقالت عائشة:

ـ والله لأحتلن له

وذكرت عائشة ذلك لسودة بنت زمعة وقالت لحفصة:

ـ أيكما دخل رسول الله ﷺ عليها اثر انصرافه من عند زينب فلتقل له: أكلت مغافير ـ ثمار حلو كريه الرائحة وكان رسول الله ﷺ لا يطيق الرائحة الكريهة ـ

وجاء السراج المنير ﷺ عائشة فشممت أنفاسه ثم قالت:

ـ إننى أشم رائحة مغافير، أكلت مغافير؟

فقال ﷺ:

ـ لا

وكذلك حفصة بنت عمر

ولما مر بسودة بنت زمعة سألته مثل ذلك

فقال عليه الصلاة والسلام:

ـ لا

قالت:

ـ فما هذه الريح؟

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ سقتنى زينب شربة من عسل

فقالت سودة بنت زمعة بلهجة الخبيرة بمراعى البادية:

ـ رعت نحلة العرفط ـ العرفط: الشجر الذى يثمر المعافير ـ

فحرم أبو القاسم شرب العسل عند زينب بنت جحش من يومه

وأحست سودة بنت زمعة ندماً فقالت لعائشة وحفصة:

ـ سبحان الله، والله لقد حرمناه

فنظرت إليها عائشة، أن اسكتى

ولما قدمت صفية بنت حيى بن أخطب من خيبر، وأنزلت فى بيت الحارثة بن النعمان فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها

وجاءت عائشة بنت أبى بكر منقبة، فلما رأتها خرجت فخرج النبى عليه الصلاة والسلام على أثرها فسألها:

ـ كيف رأيت يا عائشة؟

قالت الصديقة بنت الصديق:

ـ رأيت يهودية

فقال لها صاحب الخلق العظيم ﷺ:

ـ لا تقولى ذلك فإنها أسلمت وحسن رسلامها

فقالت عائشة:

ـ حسبك من صفية كذا وكذا ـ تعنى قصيرة ـ

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ:

ـ لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته (رواه أبو دادود، والترمذى عن عائشة)

وكانت صفية بنت حيى بن أخطب صانعة طعام، فأهدت إلى النبى ﷺ إناء فيه طعام، فأخذ يمد يده الشريفة فى الإناء ويعطى أزواجه ويذكر صفية بنت حيى بن أخطب، **فلم تملك عائشة نفسها فحملت الإناء وكسرته، وسبت عائشة صفية وقالت لأبى القاسم ﷺ:**

ـ ألا تكف عن ذكر ابنة اليهودى؟

فسبت صفية بنت حيى بن أخطب أبا بكر

فلما سمع السراج المنير ﷺ قول صفية قال:

ـ لا ياصفية لا تسبى أبا بكر

فغادرت صفية حجرة عائشة وهى تستشعر أنها ارتكبت إثماً

ووجد ـ غضب ـ رسول الله ﷺ على صفية بنت حيى بن أخطب يوماً، فأتت الصديقة بنت الصديق وقالت لها:

ـ يا عائشة هل لك أن ترضى رسول الله ﷺ ولك يومى؟

قالت أم عبدالله:

ـ نعم

وأخذت بنت أبى بكر خماراً لها مصبوغاً بزعفران فمسته بالماء ليفوح ريحه ثم جاءت فقعدت إلى جنب خاتم النبيين ﷺ فقال لها:

ـ إليك يا عائشة فإنه ليس يومك

قالت عائشة:

ـ فضل الله يؤتيه من يشاء

وأخبرته بالأمر فرضى صاحب الخلق العظيم ﷺ عن صفية (رواه ابن النجار عن عائشة)

ولما أقبلت أسماء بنت النعمان بن الأسود الكندية الجونية أحست الصديقة بنت الصديق خطر جمالها منذ وقعت عيناها عليها، وأيقنت أنها إذا لم تحل بينها وبين زوجها خاتم النبيين ﷺ فسوف تكلفها ابنة النعمان من أمرها عسراً

ومن ثم قررت عائشة أن تفرغ منها قبل أن يتم الزواج، فاستعانت بحليفتها حفصة، ودعت سودة بنت زمعة وقالت لهما:

ـ قد وضع يده فى الغرائب يوشكن أن يصرفن وجهه عنا

واتفقن على خطة موحدة، فأقبلن على العروس مهنئات، ورحن يجلونها للزفاف ويوصينها بما تفعل وما

تقول استجلاباً لرضى الزوج العظيم الرحمة المهداة ﷺ ومحبته، فكان مما نصحن لأسماء بنت النعمان به أن **تستعيذ بالله إذا ما دخل عليها رسول الله ﷺ**

وفعلت أسماء بنت النعمان

فلم تكد ترى أبا القاسم ﷺ مقبلاً عليها حتى استعاذت بالله، وهي تظن أنها تستجلب محبته ورضاه ﷺ

فصرف صاحب الخلق العظيم ﷺ وجهه عنها وقال:

ـ لقد عذت بمعاذ

وغادرها من لحظة، وأمر أن تمتع وتلحق بأهلها

وبعث النعمان الأسود الكندي من يتوسط لرد ابنته ويحدث عما كان من نساء النبى ﷺ مع أسماء بنت النعمان

فلم يملك الهادى البشير ﷺ إلا أن تبسم وقال:

ـ إنهن صواحب يوسف، وإن كيدهن عظيم

وبقى ﷺ عند كلمته، فلم يمسك أسماء بنت النعمان

التى عاذت بمعاذ

وتخلصت عائشة بنت أبى بكر من منافسة جميلة خطرة

وتفجرت براكين غيرة عائشة يوم أن علمت أن مارية بنت شمعون قد حملت

تقول أم عبدالله:

ـ فلما استبان حملها جزعت من ذلك

وسكت النبى عليه الصلاة والسلام

يقول أنس بن مالك:

ـ وغار نساء رسول الله ﷺ واشتد عليهن حين رزق منها ـ مارية القبطية ـ الولد ـ إبراهيم ـ ولم يكن لمارية لبن فاشترى أبو إبراهيم ﷺ لها لبوناً تغذى منها الصبى، فصلح إليه جسمه وحسن لونه وصفا لونه، فجاءت مارية بنت شمعون ذات يوم خاتم النبيين ﷺ تحمل إبراهيم على عاتقها فقال النبى ﷺ:

ـ يا عائشة كيف ترين الشبه؟

قالت عائشة:

ـ أنا وغيرى ما أرى شبها

فتساءل طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ:

ـ ولا اللحم؟

قالت أم عبدالله:

ـ لعمرى من تغذى بألبان الضأن ليحسن لحمه

وأكثروا على مارية فى قبطى ـ مابور ـ ابن عم لها جاء معها من مصر وكان يزورها ويختلف إليها، فلما ترامى إلى سمع رسول الله ﷺ **فحيح الناس ونسائه** قال لعلى بن أبى طالب:

ـ خذ هذا السيف فانطلق إليه فإن وجدته عندها فاقتله

قال أبو الحسن:

ـ يا رسول الله أكون فى أمرك إذا أرسلتنى كالسكة المحماة لا يثنينى شىء حتى أمضى لما أمرتنى به، أم الشاهد

يرى ما لا يرى الغائب؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب

وأقبل على بن أبى طالب متوشحاً السيف فوجد مابور عند مارية القبطية، فاخترط السيف، فلما رآه مابور عرف أن أبا الحسن يريده، فأتى مابور نخلة فرقى فيها ثم رمى **بنفسه على قفاه، ثم شال رجليه، فإذا به أجدب ـ خصى أمسح ماله مما للرجال لا قليل ولا كثير**

يقول على بن أبى طالب:

ـ فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته

فقال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ الحمد لله الذى صرف عنا أهل البيت

وقد كاد أن يقع فى أبى القاسم ﷺ حتى نزل جبريل عليه السلام وقال:

ـ السلام عليك يا أبا إبراهيم

ولم يعكر صفو عائشة بنت أبى بكر فى بيت النبوة طيلة حياتها فى كنف حبيب الرحمن ﷺ شىء سوى **حادث الإفك، تلك المحنة الكبرى التى امتحنت بها**

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج فى سفر أو غزو أقرع ـ أجرى القرعة ـ بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها

وعلم رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون الجموع لقتاله بقيادة سيدهم وزعيمهم الحارث بن ضرار، فقرر النبى عليه الصلاة والسلام أن يباغتهم بالهجوم فى عقر دارهم قبل أن يباغتوا المدينة

وأقرع السراج المنير ﷺ بين أزواجه فخرج سهم عائشة فركبت هودجها وخرجت معه

ولقى جيش رسول الله ﷺ بنى المصطلق على ماء لهم يسمى المريسيع وكان قتال انتهى بهزيمة بنى المصطلق وسيقت نساؤهم سبايا

وعاد رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، فلما كانوا

على مقربة منها نزل للراحة وقامت عائشة حين آذنوا بالرحيل فمشت حتى جاوزت جيش المسلمين، فلما قضت شأنها أقبلت إلى الرحل - الهودج - فلمست صدرها فإذا عقد لها من جزع - خرز يماني - أظفار قد انقطع فرجعت فإذا به قد انسل منها فحبسها التماسه هنيئة، ثم عادت إلى مكان هودجها فإذا الذين يحملون رحلها قد احتملوا هودجها على بعيرها التى كانت تركب وهم يحسبون أنها فيه، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه وكانت عائشة جارية حديثة السن وتهيبوا أن ينادوها أو يستوثقوا من وجودها فى الهودج وساروا.

وعثرت عائشة على عقدها المفقود فجاءت منزلها فلم تجد فيه أحداً فأقامت حيث هي وظنت أن أصحاب رسول الله ﷺ عندما يكتشفون غيابها سيرجعون إليها

وبينما هى جالسة غلبتها عيناها فنامت.

وكان صفوان بن المعطل السلمى ممن وراء جيش المسلمين يتخلف عنه ليلتقط ما سقط من المتاع.

فلما أصبح صفوان بن المعطل عند منزل عائشة رأى

سواد إنسان نائم فأتاها وكان يراها قبل الحجاب فاستيقظت فجعل يسترجع ويعيد كأنه ينبهها بالاسترجاع:

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون. إنا لله وإنا إليه راجعون

كان صفوان يتهيب الحديث إلى أم المؤمنين عائشة. ثم قرب البعير وقال:

ـ أمة قومى فاركبى

فركبت عائشة وأخذ صفوان بن المعطل بزمام البعير يقوده..

ولما بلغ جيش رسول الله ﷺ فى مطلع الصبح واقتيد بعير عائشة إلى مناخه أمام بيتها وأنزل الهودج فى رفق فإذا عائشة ليست فيه..

وظل رسول الله ﷺ وأصحابه ساعة من نهار حائرين وانطلق بعض أصحاب رسول الله ﷺ فى الطريق يلتمسون بنت أبى بكر

وأقبل بعير صفوان واطمأن أبو القاسم ﷺ عندما وجد عائشة بخير وسمع حديثها وسبب تخلفها فما أنكر

منه شيئاً.

ثم اشتكت عائشة ـ مرضت ـ

ووجدها عبدالله بن أبى بن سلول رأس المنافقين نهزة ـ فرصة ـ فراح يفح فى كل مجلس:

ـ والله ما نجت منه ـ يعنى صفوان بن المعطل ـ ولا نجا منها ـ عائشة ـ

وردد ناس من المسلمين ومنهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ ومسطح بن أثاثة قريب أبى بكر وحمنة بنت جحش حديث رأس المنافقين.

ولما سمع صفوان بن المعطل قول حسان بن ثابت فى الإفك جاء فضربه بالسيف ضربة على رأسه وقال:

تلق ذباب السيف عنى فإننى غلام إذا هوجيت ليس بشاعر

فأخذ جماعة حسان ولببوه وجاءوا به إلى رسول الله ﷺ فأهدر النبى ﷺ جرح حسان واستوهبه إياه.

وبلغ الحديث المسموع سمع النبى ﷺ كما بلغ أذن الصديق فصكها صكا ولكن أحداً لم يستطع أن يواجه

تقول عائشة بنت أبى بكر:

ـ وكان الذى تولى الإفك عبدالله بن أبى بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك وأشعر بشىء من وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتك إنما يدخل على رسول الله ﷺ ويقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى ولا أشعر حتى خرجت بعد ما نقهت فخرجت معى أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول فى التبرز قبل الغائط فكنا نتأذى بالكنف نتخذها عند بيوتنا فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها

فقالت:

ـ تعس مسطح

فقالت عائشة:

ـ أتسبين رجلا شهد بدراً؟

قالت أم مسطح:

ـ أى هنتاه أو لم تسمعى ما قال؟

قالت عائشة:

ـ وما قال؟

فأخبرت عائشة بقول أهل الإفك

تقول عائشة:

ـ فازددت مرضاً على مرضى

ولما رجعت بنت أبى بكر إلى بيتها ودخل عليها رسول الله ﷺ قال:

ـ كيف تيكم؟

فقالت عائشة:

ـ أتأذن لى أن آتى أبوى؟

وكانت حينئذ تريد أن تستيقن الخبر من قبل أمها وأبيها.

فأذن النبى ﷺ لعائشة فجاءت أبويها فقالت:

ـ يا أماه ما يتحدث الناس؟

قالت أم رومان:

ـ يا بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها.

فقالت عائشة:

ـ سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا؟

تقول عائشة:

ـ وبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرفأ لى دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكى

فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث ـ تأخر ـ الوحى يستأمرهما فى فراق أهله.

أشار أسامة بن زيد على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله ـ عائشة ـ وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود فقال:

ـ يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً

أما على بن أبى طالب فقال:

ـ يا رسول الله لم يضيق عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية ـ بريرة خادم عائشة ـ تصدقك.

فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال:

ـ أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك؟

قالت بريرة:

ـ لا والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمصه ـ أستصغره ـ عليها من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن ـ طيور المنزل ـ فتأكله.

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبدالله بن أبى ابن سلول فقال وهو على المنبر:

ـ يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى؟ فوالله ماعلمت على أهلى إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً **ما علمت عليه ـ صفوان بن المعطل ـ إلا خيراً وما كان يدخل على أهلى إلا معى** (أخرجه البخارى ومسلم عن عائشة)

فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال:

ـ يا رسول الله أنا أعذرك منه إذا كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج فاحتملته الحمية فقال لابن خالته:

ـ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله

فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة:

ـ كذبت لعمر الله فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فتشاور ـ تهايج ـ الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا.. وسكت

تقول عائشة:

ـ فمكثت يومى ذلك لا يرفأ لى دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم

ولا يرفأ لي دمع يظنان أن البكاء فالق كبدي.

فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني.

فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال:

ـ أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت ذنباً فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه. (رواه البخاري ومسلم عن عائشة)

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمع عائشة حتى ما أحست منه قطرة فقالت لأبيها الصديق:

ـ أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال

فقال أبو بكر:

ـ والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ؟ ما أعلم أهل

بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على؟ والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا فى الإسلام..؟

فقالت عائشة لأمها أم رومان:

ـ أجيبى رسول الله ﷺ

فقالت أم عائشة:

ـ ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ

فقالت عائشة:

ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقول كثيراً من القرآن ـ لا أقرأ كثيراً من القرآن ـ إنى والله لقد علمت ولقد سمعت هذا الحديث حتى استقرّ فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم: إنى بريئة تصدقون بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إنى منه بريئة لتصدقنى والله لا أجد لكم مثلاً إلا قول أبى يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف الآية:١٨]

ثم تحولت فاضجعت على فراشها وهى حينئذ أعلم أنها بريئة وأن الله مبرئها براءتها تقول عائشة:

ـ ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها.

فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولاخرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان ـ اللؤلؤ ـ من العرق وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها قال.

ـ أبشرى يا عائشة أما الله عز وجل قد برأك.. (أخرجه البخارى عن عائشة)

فقالت أم رومان لابنتها عائشة فى فرح:

ـ قومى إليه

فقالت عائشة:

ـ والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل، وأنزل

العلي الحكيم﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النور الآية ١١:١٧] (الحديث رواه البخارى)

لقد برأ الله تعلى أم المؤمنين عائشة من فوق سبع سموات فخرجت من المحنة بشهادة ربانية شهادة لا تمحوها الأيام ولا تبليها الأعوام.. قرآن يتلى إلى يوم تقوم الساعة.. فزادت مكانتها فى قلب ونفس رسول الله ﷺ

وأقيم الحد على الذين يرمون المحصنات الغافلات ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [سورة النور الآية: ٤]

قال شاعر من المسلمين:

لقد ذاق حسان الذى كـــــان أهلـــه

وحمنة إذ قـالـــــوا هــجيرًا ومسطح

وابن سلول ذاق فـــــى الحــــد خزية

كما خـــاض فى إفك من القول يفصح

تعاطـــــوا برجــــم الغيب زوج نبيهم

وسخطة ذى العرش الكريم فأبرحــــوا

وآذوا رسول الله فيها فجـــــــــللوا

مخازى تبقى عمموهــــا وفضحـــــوا

فصب عليهم محصـــدات كأنهـــــا

شآبيب قطــــر من ذرى المزن تسفـح

وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب ثم حبيبة بنت أبى سفيان

•خصام رسول الله ﷺ وحفصة •

ذات ليلة ذهب صاحب الشفاعة ﷺ إلى بيت حفصة بنت عمر فاستأذنت فى زيارة عائشة فأذن لها، وبعث أبو القاسم ﷺ إلى مارية بنت شمعون وأدخلها بيت حفصة، فلما رجعت ابنة الفاروق وجدت مارية القبطية مع المبعوث للناس كافة ﷺ فوجدت ـ غضبت ـ ولم تدخل حتى خرجت مارية ثم قالت:

ـ يا رسول الله إنى رأيت من كان معك فى البيت

وغضبت وبكت وقالت:

ـ يا نبى الله لقد جئت إلى بشىء ما جئت به من نسائك فى يومى وفى بيتى وعلى فراشى

فلما رأى نبى الرحمة ﷺ فى وجهها ولمس فى صوتها فحيح الغيرة قال لها:

ـ أما ترضين أن أحرمها على نفسى ولا أقربها أبداً؟

فقالت حفصة بنت عمر: ، `

ـ بلى

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ لا تذكرى هذا لعائشة فهى ـ مارية القبطية ـ على حرام أن أقربها (رواه الدارقطنى عن عبدالله بن عباس)

ولكن حفصة عادت تتساءل:

ـ وكيف تحرم عليك وهى جاريتك؟

فحلف النبى ﷺ ألا يقربها، وعاد يقول لحفصة:

ـ اكتمى على

ثم قال الصادق المصدوق ﷺ لمارية بنت شمعون:

ـ أنت حرام على، والله لا آتيك

ولكن بنت الفاروق لم تكتم على المبعوث رحمة للعالمين ﷺ، بل انطلقت إلى حليفتها عائشة وقالت لصديقتها:

ـ لقد أراحنا الله من مارية، فإن رسول الله ﷺ قد حرمها على نفسه

فأنزل العلى الخبير ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التحريم الآية: ١]

وعلم الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أن حفصة بنت عمر لم تكتم عليه وإنما أنبأت الصديقة بنت الصديق بأمر مارية بنت شمعون، فلما أخبر عائشة ببعض ما أسرته لها الفاروق تساءلت عائشة:

ـ من أنبأك هذا؟

قال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

ـ ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة التحريم الآية: ٣]

ولما علم الفاروق أن ابنته قد راجعت النبى ﷺ وأنها هى وعائشة قد تظاهرا وتعاونا على أبى القاسم ﷺ بالمعصية والإيذاء غضب الفاروق ودخل على ابنته وقال لها:

ـ هل ما سمعته حقاً؟

قالت حفصة:

ـ نعم

فزجرها ابن الخطاب وقال:

ـ تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ، يا بنية لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها ـ يعنى عائشة ـ والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك ولولا أنا لطلقك

وطلق رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر فأتاها خالاها ابنا مظعون: قدامة وعبدالله، فبكت حفصة وقالت لهما:

ـ والله ما طلقنى رسول الله ﷺ عن شبع

ولما علم عمر بن الخطاب الخبر حثا ـ رمى ـ التراب على رأسه وقال:

ـ ما يعبأ الله بعمر بعد هذا

وانطلق الفاروق إلى ابنته وقال لها:

ـ لعل رسول الله ﷺ قد طلقك، إن كان قد طلقك مرة ثم راجعك من أجلى، فإن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبدا (أخرجه أبو يعلى عن أبى صالح).

فنزل جبريل عليه السلام من الغد على أبى القاسم ﷺ فقال:

ـ إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر.

فدخل الصادق المصدوق ﷺ على حفصة وقال لها:

ـ« **إن جبريل عليه السلام آتانى فقال لى: أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وهى زوجتك فى الجنة**»(رواه الحاكم والطبرانى وابن سعد عن أنس).

●●●●●

• خلاف رسول الله ﷺ وأم سلمة •

كانت عائشة حب النبى ﷺ ، وكان أصحاب رسول ﷺ ينتظرون يوم عائشة ليقدموا لرسول الله ﷺ هداياهم وهو عندها حتى أثار ذلك غيرة أمهات المؤمنين.

وكان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، فاجتمع زوجات النبى ﷺ إلى أم سلمة فقلن:

ـ يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريد عائشة، فمرى رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيث دار.

فذكرت هند بنت أبى أمية ذلك لرسول الله ﷺ **فأعرض عنها.**

فلما عاد رسول الله ﷺ إلى أم سلمة ذكرت له ذلك **فأعرض عنها.**

فلما كانت الثالثة ذكرت ذلك أم سلمة لنور الظلمة ﷺ فقال:

ـ يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة غيرها

فقالت أم سلمة معتذرة:

ـ أتوب إلى الله من ذلك يا رسول الله.

اختار نبى الرحمة ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف لا عجزا عن حياة المتاع فقد عاش حتى فتح الله عليه الأرض وكثرت غنائمها وعم فيؤها واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد، ومع هذا فقد كان الشهر يمضى ولا توقد فى بيوته ﷺ نار مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا، ولكن ذلك كان اختيارا للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله، ورغبة الذى يملك ولكنه يعف ويستعلى ويختار..

وذات يوم تأذى رسول الله ﷺ ببعض زوجاته فقد سألته شيئا من عرض الدنيا

وقيل: زيادة فى النفقة.

وقيل: آذينه بغيرة بعضهن على بعض.

وقيل: إن امرأة من أزواجه سألته أن يصوغ لها حلقة من ذهب فصاغ لها حلقة من فضة وطلاها بالذهب

وقيل: طلاها بالزعفران، فأبت إلا أن تكون من ذهب.

فدخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم فأذن لأبي بكر فدخل

ثم جاء عمر بن الخطاب فاستأذن فأذن له، فوجد السراج المنير ﷺ جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا فقال الفاروق:

ـ والله لأقولن شيئا أضحك به رسول الله ﷺ

فقال عمر:

ـ يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت ـ لويت ـ عنقها .

فضحك رسول الله ﷺ وقال وهو يشير نحو زوجاته:

ـ هن حولي كما ترى يسألنني النفقة

فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى ابنته حفصة يجأ عنقها وكلاهما يقول:

ـ تسألن رسول الله ﷺ وليس عنده؟

فقلن:

ـ والله لانسأل رسول الله ﷺ شيئا ليس عنده.

واعتزل الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ زوجاته تسعا وعشرين يوما.

ثم نزل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[سورة الأحزاب الآية: ٢٨ـ٢٩].

فبدأ المبعوث للناس كافة ﷺ بعائشة فقال لها:

ـ يا عائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيرى أبويك.

قالت أم عبد الله:

ـ وما هو يا رسول الله؟

فتلا الصادق المصدوق ﷺ **عليها آيتى التخيير.**

فقالت الصديقة بنت الصديق:

ـ أفيك يا رسول الله أستشير أبوى؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت.

قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

ـ لا تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا

ثم قال النبى عليه الصلاة والسلام لأزواجه مثل ما قال لعائشة فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة

وعاد الصفاء والسعادة إلي بيت النبى ﷺ عليه من جديد.

واجتمع نساء رسول الله ﷺ فى مرضه الذي توفى فيه فقالت صفيه بنت حيى بن أخطب:

ـ إنى والله يا نبى الله وددت أن الذى بك بى

فغمرن ـ فغمزنها ـ أزواجه ﷺ ببصرهن فقال الصادق المصدوق ﷺ لهن:

ـ مضمضن

فقال نساء النبى عليه الصلاة والسلام:

ـ من أى شىء؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة.

المراجع

* القرآن العظيم
* فى ظلال القرآن — سيد قطب
* الجامع لأحكام القرآن — القرطبى
* التفسير القرآنى للقرآن — عبد الكريم الخطيب
* صحيح البخارى
* صحيح مسلم
* سنن ابن ماجه
* سنن أبى داود
* سنن النسائى — السيوطى
* المعجم الكبير — الطبرانى
* كنز العمال — الهندى
* المستدرك على الصحيحين — الحاكم

* الإصابة فى تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلانى
* الاستيعاب فى معرفة الأصحاب	ابن عبد البر
* أسد الغابة فى معرفة الصحابة	ابن الأثير
* فتح البارى	ابن حجر العسقلانى
* نساء الصحابة	عبد العزيز الشناوى
* زوجات الرسول ﷺ	عبد العزيز الشناوى
*الطبقات الكبرى	ابن سعد كاتب الواقدى
* كنوز القرآن وبيان الفرقان	عبد العزيز الشناوى
* السيرة النبوية	ابن كثير
* الروض الأنف	السهيلي
* المسند	الإمام أحمد

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كن مع الله وأنت تقرأ

سلسلة كتاب الجيب الإسلامى

- أم النبى ﷺ
- زوجات الأنبياء الصالحات والخائنات
- مخاصمة الرسول ﷺ لزوجاته